القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر الدولية للعام 2018 من مؤلفة رواية النباتية

هان كانغ



الكتاب الأبيض



ترجمة عن الكورية محمد نجيب

هان كانغ

الكتاب الأبيض

القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر الدولية
للعام 2018 من مؤلفة رواية النباتية

دار التنوير للنشر و التوزيع

1

أنا

나는



في الربيعِ، عندما قررتُ الكتابة عن الأشياء البيضاء، أول شيء فعلته كان كتابة قائمة:

القماط

ثوبُ طفلٍ وليد

مِلحٌ

جليدٌ

ثلجٌ

قمرٌ

شجرةُ المغنوليا

أرزٌ

موجُ البحرِ

طائرٌ أبيضُ

«الضحكةُ البيضاءُ»

ورقةٌ بيضاءُ

كلبٌ أبيضُ

شعرٌ أبيضُ

كفَنٌ

كتبتُ عن فيضِ المشاعر التي أثارها كل عنصر بداخلي. شعرتُ بحاجتي لكتابة هذا الكتاب، وبأنَّ عملية كتابته لا بد أنْ تكونَ بمثابة تحوُّل جذري. عملية ستحوّل الكلمات إلى شيءٍ يشبه مرهمًا أبيض أدهنُ به تورمًا، أو ضمادة أضعها على جُرحٍ. شيء كنتُ في

حاجة ماسة إليه.

لكن بعد عدة أيام، بينما أقرأ القائمة من جديد، سألت نفسي: ما المغزى من وراء تلك المهمة، ومن ذلك التأمل العميق في لب هذه الكلمات.

إذا مزرتُ تلك الكلماتِ من خلالي، فسوف ترتجف كصرخةٍ حزينة. هل يمكنني السماح لنفسي بالاختباء بين هذه العبارات، يخفيني عن الأنظار شاش أبيض؟

كان سؤالًا تصعبُ الإجابةُ عنه. لذا تركتُ القائمة وأجّلتُ خطتي لأجل غير مسمى.

في أغسطس سافرتُ إلى ذلك البلد الذي لم أزره من قبل، حيث استأجرتُ شقةً بعقدٍ قصيرِ الأجل في العاصمة، وتعلّمتُ كيف أقضي أيامي متجوّلةً في ضواحي المدينة الغريبة بالنسبة إليّ.

في ليلةٍ، بعد مرور شهرين تقريبًا من تواجدي في المدينة وعندما بدأ بردُ الشتاءِ يقرصني، انتابني صداعٌ نصفيٌ مألوفٌ لي بشدة. ابتلعت بعض الحبوب مع ماء دافئ. أدركتُ لحظتها (بهدوءٍ تامٍّ) أن الاختباء سيكون مستحيلًا.

من حينٍ إلى آخر يبدو لي مرورُ الوقتِ محسوسًا بشدة. يضاعف الألم الجسديُ من حدة إدراكِ المرء دائمًا. تسللَ الصداعُ النصفيُ الذي بدأت أعاني من ويلاته منذ كنتُ في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري، إليّ من دون سابق إنذار، وجلبَ معه تشنجاتٍ مؤلمةً في بطني، وقذف بروتين حياتي بعيدًا عن مساره

المرسوم. وجدت نفسي مرغمةً على تأجيل حتى أبسط المهمات وتفرغتُ فقط لتحمل الألمِ، شاعرةً بانسيابِ قطراتِ الزمنِ واحدةً تلو الأخرى، مثل أحجارِ خاتمٍ حادةٍ كالشفرة، تُدمي أطراف أصابعي. أخذت نفَسًا عميقًا لأجد هذه اللحظة الجديدة في الحياة وقد اتضحت ملامحها أمام عينيَّ كقطرةِ دمٍ. حتى بعد أنْ عدتُ ثانية إلى تيار الحياة الروتينية، يومٌ يَفضِي إلى آخر بتلقائية، ظلَّ ذلك الشعور هناك في البقعةِ نفسها في داخلي، ينتظر حابسًا أنفاسه.

كلُّ لحظةٍ هي قفزةٌ إلى الأمامِ من فوق جرفٍ غير مرئيٍ حيث تتجدد حوافُّ الزمنِ باستمرارٍ. نرفعُ أقدامنا من على الأرضِ الصلبةِ للحياةِ التي عشناها حتى الآن، ونأخذُ الخطوةَ التالية المحفوفة بالمخاطرِ نحو المجهول، نحو الهواءِ الفارغِ. لا نفعلُ ذلك كي نثبت امتلاكنا لشجاعةٍ من نوعٍ خاصٍ بل لأنه لا يوجد أمامنا طريقٌ آخر.

الآن في هذه اللحظة، أشعر بإثارةٍ مَدوخةٍ تسري في داخلي، بينما أخطو بتهورٍ نحو زمنٍ لم أعِشهُ بعد، نحو كتابٍ لم أكتبه بعد.

بابٌ

كان ذلك شيئًا حدثَ منذ مدةٍ طويلةٍ.

قبل أن أوقّع عقد استئجار الشقة، ذهبت لإلقاء نظرةٍ عليها. يومًا ما، كان بابها المعدني أبيض، لكن ذلك اللمعان قد اختفى عبر الزمن. عندما رأيت الباب، كان منظره مأساويًا، الدهان تقشّر في عدة مواضع كاشفًا عن الصدأ تحته. لو كان هذا كل شيء، لتذكّرتُ الباب على أنه مجرّد بابٍ قديمٍ وقذرٍ. لكن لفت انتباهي أيضًا الطريقة التي نُحِت بها الرقم 301 على الباب - ربما استخدمَ أحد مستأجري الشقة الكثيرين من قبلي أداةً حادةً، سن إزميلًا مثلًا لخربشةِ الرقمِ على واجهةِ البابِ الخارجيةِ. يمكنني تخيلُ كلِّ ضربة أزميلٍ ضُرِبَت لرسمِ الرقمِ. ثلاثة، مشدودة الأطراف، يصلُ طولُها إلى ثلاثةِ أشبارٍ. صفرٌ، أصغر حجمًا لكن أُعيد حفرُه مرات عدّة. تجذبُ الخربشةُ الغائرةُ داخلَ واجهةِ البابِ الانتباهَ. وأخيرًا الرقم واحد، خطٌ طويلٌ وعميقٌ، يدلُّ على المجهودِ المبذول لرسمِه. انتشر الصدأ حول مجموعة «الجروح» المستقيمةِ والمقوّسةِ، كأثرٍ شاهدٍ على العنفِ، مثل بقعِ دمٍ جفّتْ منذ مدة طويلة، صلبة، ولونها أحمرُ مائلٌ للسوادِ.

ليس لديّ عزيزٌ. لا المكانُ الذي أعيش فيه، ولا الباب الذي أعبره كل يومٍ، ولا حتى حياتي اللعينة!

هكذا تحدثَت الأرقامُ من بين أسنانها المطبقةِ بإحكامٍ

وهي تحدق بي.

كانت هذه الشقة التي أردتُ استئجارها في ذلك الشتاء. الشقة التي اخترت أن أقضي فيها أيامي القادمة في تلك المدينة.

بمجرد أن أفرغتُ حقائبي، اشتريت مجمعًا من الدهان الأبيض وفرشاة دهان مناسبة الحجم. كانت حوائط حجرة النوم والمطبخ عاريةً من ورق الجدران، كاشفةً عن سطحٍ مُلطّخٍ ببقعٍ قذرةٍ مختلفةِ الأحجامِ والأشكالِ. كانت تلك البقع الداكنة كثيفة جدًا حول مقابس الكهرباء. ارتديت بنطال بدلة رياضية لونه رماديٌ فاتحٌ، وكنزةً صوفيةً بيضاءَ قديمةً، كي لا تتسخ ثيابي أثناء الدهان، كنت غير معنية بالحصول على نتيجة مثالية ومتجانسة حتى قبل أن أبدأ بالدهان. سيكون كافيًا أن أدهنَ البقعَ - بقعٌ بيضاء أفضلُ من بقعٍ قذرةٍ بكل تأكيد.

قمتُ بتمريرِ الفرشاة فوق بقعٍ كبيرةٍ في السقف انتشرت كشبكة العنكبوت. لا بد أنّ المطر قد تسرّب من خلاله من قبل. شاهدتُ اللون الرمادي يختفي تحت الطلاء الأبيض. ثم مسحتُ الحوض المتسخ بقطعة قماش قبل أن أطليه بالدهان الأبيض اللامع نفسه من دون أن أولي أيّ اهتمام لحقيقةِ أنّ قاعدته بنيةُ اللون.

أخيرًا، انتقلت إلى المدخل كي أدهنَ الباب الأمامي. شاهدتُ عيوبَ الباب المليء بالندوب تُمحى أمام عيني مع كل ضربة فرشاةٍ. اختفت الأرقامُ المحفورةُ بعمقٍ

في واجهة الباب، واختفى الصدأ الذي يشبه بقع الدم. عدت إلى داخل الشقة لآخذ قسطًا من الراحة وأدفئ جسمي. عندما عدت إلى الباب بعد ساعة، وجدتُ أن الدهان قد بهت. تداخلت الألوان وعاد الباب قذرًا من جديد، ربما سبب ذلك أنني استخدمتُ فرشاةً للدهان وليس بكرةً.

بعد أن أعدت طلاء الباب بطبقة إضافية في محاولة لمحو أثر البقع بقدر الإمكان، عدت إلى الداخل لأنتظر ماذا سيحصل. بعد ساعة، انتعلت نعلَيّ وجررتُ قدميّ إلى الخارج. كان الثلج قد بدأ في التناثر. في الخارج، كان الزقاق معتمًا. لم تُضأ مصابيح الشارع بعد. وقفتُ في مكاني ساكنة لا أتحرك، أحملُ مجمع الدهان في يد والفرشاة في اليد الأخرى، بينما أراقب بانشداه الهطول البطيء جدًا لبلّورات الثلج - لا يعبأ الثلج بمسألة الزمن. بدا المشهد كتساقط مئة ريشة وريشة.



القماط

القماط أبيض كالثلج.

يَلُفُّ القماط حول جسمِ الطفلِ المولودِ. كان الرحم مكانًا دافئًا ومريحًا لحياة الطفلِ لكن لا يمكنه العيش بداخله إلى الأبد.

تحيط الممرضةُ جسمَ الطفلِ بالقماط محكِمةً إيّاه كي تُلطِّفُ صدمةَ الخروجِ المفاجئِ للطفل من حدودِ الرحم الضيقةِ إلى عالمٍ رحبٍ لا حدودَ له.

الإنسانُ الذي بدأ يتنفّسُ للتوِ، أولَ نفسٍ، يملأ رئتيه بالهواء. الإنسان الذي لا يعرفُ من هو، وأين هو، وما كنه الرحلة التي بدأها للتو. الأكثر براءة من بين كل الحيوانات الصغيرة، والأكثر عجزًا عن الدفاع عن نفسه.. أكثر عجزًا حتى من كتكوتٍ حديث.

المرأةُ الشاحبةُ بسببِ النزيف أثناء الولادة، نظرتْ إلى الطفلةِ الباكية. أمسكَتْ بجسمِ الطفلةِ الملفوفِ بالقماط بين ذراعيها بارتباك. إنسانةٌ لا تعرفُ علاجًا لبكاء صغيرتها بعد. إنسانة كانتْ قبل لحظاتٍ قليلةٍ تعاني من آلام المخاض.

فجأة توقفتِ الطفلة عن البكاء من تلقاء نفسها. ربما بسبب أنها شمّت رائحةً ما. أو لأن الاثنتين مرتبطتان بطريقة ما، بحبلٍ سرّي غير مرئي.

التفتت عينان سوداوان لا تملكان القدرة على الرؤية بعد نحو وجه المرأة - كانت تتبع اتجاه الصوتِ وحسب.

من دون أن تدريا ما يخبئه القدَر لهما.

لا تزال الاثنتان مرتبطتين. خيم صمت ممزوج برائحة الدم على المكان.

كان كل ما يفصلُ بين الجسدين هو القماط الأبيض.

ثوبُ طفلٍ وليد

أخبرني والداي أنَّ أولَ طفلٍ أنجبته أمي ماتَ بعد أقل من ساعتين من ولادته. أخبراني أنها كانت فتاة لها وجهٌ أبيض مشرق ككعكة أرزٍ على شكل هلالٍ. رغم أنها كانت صغيرة جدًا - ولدتْ أبكر بشهرين من ميعاد الولادة المتوقَّع - كانت ملامحها كاملة وواضحة.

قالت لي أمي: لا أستطيع أن أنسى اللحظة التي فتحت فيها عينيها السوداوين وحرّكتهما باتجاه وجهي.

في ذلك الوقت كان والداي يعيشان في منزل معزول في الريف قرب المدرسة الابتدائية، التي كان والدي يعمل مدرِّسًا فيها. كان موعد ولادة أمي لا يزالُ بعيدًا، لذا لم تكن مستعدةً على الإطلاق حين أتاها المخاض ونزلَ ماء الولادة. لم يكن معها أحد. كان هاتف القرية الوحيد في محلٍ صغيرٍ بجوار محطة الحافلات - يبعُد عشرين دقيقة عن البيت، وكان لا يزال هناك ستُ ساعات على موعدِ رجوعِ أبي إلى البيت.

حدثَ ذلك في بداية الشتاءِ مع قدومِ أولِ موجةِ صقيعٍ في السنة. زحفت أمي، ذات الاثنين والعشرين ربيعًا إلى المطبخ وغلت بعض الماء لتُطهِّرَ المقصّ. بينما تفتِّش في صندوق الخياطة عن مقصٍّ، عثرت على قماشٍ أبيض كانت ستستخدمه لتصنع ثوبًا للطفل. سيطرت عليها انقباضاتُ المخاض وتملّكها خوفٌ شديد، فبدأت الدموع تنساب من عينيها بينما تحيك القماش

بإبرتها.

أنهت حياكة الثوب، ثم عثرت على ملاءة خفيفة، استخدمتها كقماط. كزّت على أسنانها حين عاد الألم إليها، وصار أسرع وأشد قوة مع كل انقباضة.

في النهاية، تمكّنت من ولادة الطفلة وحدها. قطعت الحبل السري ثم ألبست جسم الطفلة الصغيرة المدمّى الثوب الذي صنعته للتو. أمسكت الجسد الصغير الباكي بين ذراعيها.

من أجل الرب، لا تموتي، تمتمت بصوت واهن، مرة تلو الأخرى كما لو كانت تتلو مانترا. بعد مرور ساعة، تفتّحت جفون الطفلة المحكمة الإغلاق فجأة. بينما تلتقي عينا أمي بعيني طفلتها، تحرّكت شفتاها من جديد. **من أجل الرب، لا تموتي!**

بعد ساعة أخرى، ماتت الطفلة.

استلقى الجسدان على أرضية المطبخ، أمي على جنبها والطفلة ملتصقة بصدرها. شعرت أمي بالبرودة تتسلّل تدريجيًا إلى جسد طفلتها. تخلّلته حتى وصلت إلى العظام.

توقّف البكاء وحلّ الصمت.

كعكةُ أرزٍ على شكلِ هلال

في الربيع الماضي، سألني شخص إذا كنتُ قد مررتُ بـ«تجربة محددة» في صغري، قرّبتني من فهم طبيعة الحزن؟ كان السؤال أثناء حوار إذاعي.

عندما طُرح عليّ السؤال، كان هذا الموت - موت أختي - هو ما خطر في ذهني. كانت قصة قد كَبُرتْ معها وكَبُرتْ معي.

«أكثر الحيوانات الصغيرة براءة. طفلة صغيرة وجميلة. بيضاء مثل كعكة أرزٍ على شكل هلال». هكذا وصفتها أمي.

كيف وُلِدتُ وكَبُرتُ في مكان ذلك الموت؟ سألتُ نفسي.

«بيضاء مثل كعكة أرزٍ على شكل قمر» لم يبدُ لي وصفًا منطقيًا أبدًا حتى بلغتُ السادسة من عمري. في السادسة كنتُ كبيرة بشكل كافٍ كي أساعد في تحضير كعك الأرز من أجل عيد التساوك[1]. كنت أشكّل العجينة في صورة أقمار صغيرة هلالية الشكل. قبل أن تُوضَع في الفرن، تبدو أشكال عجينة الأرز ناصعة البياض وخلّابة، كأنها قادمة من عالم آخر. فقط بعد ذلك، حين قُدِّمت في طبقٍ مزينةٍ بأعواد الصنوبر، بدت كعكة الأرز بالنسبة إليّ «حقيقية» بشكل مُحبِط. كانت قطع الكعك تلمع بزيت السمسم المحمَّص، وقد تغيّر لونُها وملمسُها بفعل الحرارة. كان مذاقها لذيذًا بالتأكيد،

لكن شكلها مختلف تمامًا عن جمالها المثالي السابق. لذا عندما قالت أمي: «أبيض مثل كعكة الأرز»، أدركت أنها عنت كعك الأرز قبل وضعه في الفرن. وجه شديد البراءة والنقاء ككعكة أرز. جعلتني تلك الأفكار أشعر بانقباضة في صدري كما لو ضُغط عليه بثقل حديدي.

في الربيع الماضي، في الأستديو أثناء تسجيل البرنامج الإذاعي، لم أذكر أيًا من هذا. بدلًا من ذلك تحدثت عن كلبي الذي نفق وأنا في الخامسة من عمري. كان كلبًا ذكيًا إلى درجة ملفتة للاهتمام. كان كلبًا هجينًا لكنه ينحدر جزئيًا من سلالة الجندو المشهورة. لا زلت أمتلك صورة بالأبيض والأسود لنا معًا، صورة للحظة حميمة بيننا لكن ولسبب غامض لا أستطيع تذكّره وهو حي. ربما الذكرى الوحيدة التي لا تزال واضحة لي هي رؤيتي له في صباح يوم نفوقه: فرو أبيض، عيون سوداء، وأنف رطب مثير للاشمئزاز. بعد نفوقه تولّد في داخلي نفورٌ تجاه الكلاب، ظلّ يلازمني حتى يومنا هذا.

في الصورة، بدلًا من أن أمدّ يدي لأعبث بفروه الناعم، ظل ذراعي مثبتًا إلى جانبي بإحكام.

---

(1) التساوك: الترجمة الحرفية هي ليلة الخريف، وهو مهرجان حصاد مهم يشتمل على ثلاثة أيام عطلة في كل من الكوريتين، ويعتبر كعك الأرز واحدًا من الأطعمة الأساسية التي تقدم في هذا العيد.

ضَبابٌ

لماذا تطفو الذكريات القديمة دائمًا إلى السطح هنا في هذه المدينة الغريبة؟

عندما أخرج إلى الشوارع، فإنّ شذراتِ الكلام التي تصل إلى أذنيَ عندما يمر متحدثٌ بجواري، والكلماتُ على لافتات الشوارع والمحال، تكونُ غيرَ مفهومةٍ تمامًا بالنسبة إليّ. أحيانًا أشعر بأن جسدي أشبه بسجنٍ، أو بجزيرةٍ صلبةٍ ومتحركةٍ تشقُ طريقها وسط زحامٍ موحشٍ. أشعر به كحُجرة مغلقة، تحمل بين طياتها كل ذكريات حياتي التي عشتها، اللغة الأم التي لا تنفصل عنها تلك الذكريات. كلما زادت تلك العزلة جموحًا، زادت الذكريات التي أحاول نسيانها وضوحًا، وزاد وزنها ثقلًا. وهكذا اكتشفت أن المكانَ الذي فررت إليه ليس مدينةً على الجانب الآخر من العالم كما ظننتُ - وتمنيت - بل إنه مكانٌ يجبرني على النظر أكثر في داخلي الذي أحاول تجنبه.

في ساعاتِ الصباحِ الأولى والمدينة متدثرة بعباءة من الضباب، يتلاشى الحد الفاصل بين السماء والأرض. المنظر الوحيد الذي يمكنني رؤيته من خلال نافذة الشقة هو منظرٌ ضبابيٌ لشجرتَي حَورٍ، تبدو كملامح «لوحة غسيل الحبر»[2]، تقف على مسافة أربعة أو خمسة أمتار من الشارع الذي يختفي خلف الضباب. كل شيء آخر أبيض.

لكن هل يمكننا أن نسمي ذلك أبيض حقًا؟ تلك التموجات الهائلة والصامتة بين هذا العالم والعالم الآخر حيث كل جزء من الماء البارد مكونٌ من ظلام أسود مبلل.

أتذكرُ صباح أحد الأيام أثناء إقامتي على جزيرة منذ فترة بعيدة. كان الضباب كثيفًا مثل الآن. كنت أسير مع مجموعة من البشر في طريق بمحاذاة جرف. تظهر أشجار الصنوبر وتختفي في قلب الضباب كومضات ضوء. يكتسي الجرف الشاهق الارتفاع بظلال رمادية تمنحه انطباعًا مُبهمًا ومثيرًا. بدت لي مؤخرة رؤوس رفقائي غير ظاهرة بشكل مخيف، كأنها مقطوعة عند الأعناق وهم ينظرون إلى الأسفل في الماء الأسود متدفقًا في الضباب السميك الذي يغطي البحر. لكن كم كان منظر الطريق نفسه عاديًا حين سرت فيه مجددًا بعد ظهر اليوم التالي. ما تخيلت أنه مستنقع غامض، كان في الحقيقة مجرد بركة صغيرة جافة وقد امتلأت بالتراب. أشجار الصنوبر التي بدت كأنها من عالم آخر حين رأيتها في ومضاتٍ خاطفةٍ أثناء الضباب، كانت تقف الآن ببؤس محاطةً بشريط من الأسلاك الشائكة. استعاد البحر لونه الأزرق الغامق ولمعان سطحه الأشبه بصورة باهتة على كارت بريدي. عاد كل شيء إلى نطاق حدوده، كاتمًا أنفاسه منتظرًا الضباب التالي.

ماذا تفعل أشباح هذه المدينة في ساعات الصباح المتدثرة بالضباب تلك؟

هل تنساب في صمت سارية عبر الضباب الذي يحبس أنفاسه وينتظر؟

هل تتبادلُ الأشباح التحية في الفراغات بين جزيئات الماء التي تلوِّن أصواتهم بالأبيض؟

هل يتحدثون بلغةٍ خاصة بهم، لغة أخرى لا أسمعها؟ أم إنهم يهزّون ويومئون برؤوسهم فقط دون الحاجة إلى الكلمات؟

---

(2) لوحة غسيل الحبر: هو نوع من أنواع الرسم بالفرشاة مستخدم منذ القِدم في الشرق الأسيوي، أصوله من الصين، يُستخدم فيه الحبر الأسود في الرسم وفي فن الخط. يعتمد هذا الأسلوب في الرسم على تغيير كثافة الحبر عن طريق تغيير حمولة الحبر في الفرشاة وتغيير طريقة حركة وضغط ضربة الفرشاة على اللوحة.

مدينة بيضاء

شاهدت فيلما التقطته طائرة عسكرية أمريكية للمدينة في ربيع العام 1945. شاهدت الفيلم في حجرة العرض في الطابق الأول من قاعة النصب التذكارية شرق المدينة. وضّحت الترجمة التي ترافق الفيلم أنه طوال ستة شهور، بدءا من أكتوبر 1944، أباد النازيون خمسة وتسعين بالمئة من مساحة المدينة. هذه المدينة التي وقف سكانها ضد النازية، وطردوا الجنود الألمان منها في سبتمبر 1944 وشكّلوا حكومة من المدنيين لتحكم المدينة لمدة شهر قبل أن يقرر هتلر أن يمحو المدينة من الوجود بين ليلة وضحاها، كي يجعلها مثالًا وعبرة.

بدأ الفيلم بمشهد للمدينة مُلتقطا من أعلى، تظهر فيه المدينة مكسوّةً بالثلج. طبقةٌ جليدية بيضاء مائلة للرمادي يسقط عليها ضوء ممتزج بالسخام، فبدت من أعلى فلطخةً ببقعٍ منقّطة. خفضت الطائرة من ارتفاعها في الجو فزاد تركيزُ الصورة. لم يكن هنالك جليدٌ يغطي المدينة، ولا ثلجٌ يعلوه السخام. لقد هدمت المدينة عن بكرة أبيها. سُحِقت، حرفياً. فوق اللمعان الأبيض للأطلال الحجرية، تنتشر البقع السوداء التي تُظهر الأماكن التي امتدت إليها النيران.

***

أثناء ركوبي الحافلة عائدةً إلى شقتي، نزلت عند

الحديقة التي يُشاع أنها كانت حديقة قلعةٍ عتيقةٍ جدًا. بعد فترة من المشي خلال ممراتها المحاطة بالأشجار، صادفتُ مبنى مستشفى قديم. كان قد أعيد بناؤه على نحوٍ مماثل لمبنى هُدم في غارة جوية العام 1944، لم يعد يُستخدم كمستشفى بل تحوّل إلى معرض فني. بينما أسير في الممر الضيق المختنق بكتل من أغصان الشجر المتشابكة، حيث تعلو زقزقة طيور عالية تشبه صيحات القُبّرات، خطر في بالي أن كل هذه الأشياء كانت ميتةً في لحظة ما. كلُّ هذه الأشجار والطيور والممرات والشوارع وكلُّ هؤلاء البشر.

في هذه المدينة، لا يوجد شيء يزيد عمره على سبعين سنة. القلاع في الحي القديم، القصر الفاخر، والفيلّا المطلّة على البحيرة في أطراف المدينة حيث كانت الأسرة الملكية تقضي عطلة الصيف - كلّها مزيّفةٌ. هي مبانٍ جديدة أعيد بناؤها بدقّة وفقًا للصور الفوتوغرافية والرسومات والخرائط. لم ينجُ من المباني القديمة سوى عمودٍ أو جزء سفلي من حائط. أدمجت بقايا الدمار تلك في بناء المباني الجديدة. تجتمع الحدود التي تفصل القديم عن الجديد - تلك الندبات الشاهدة على الدمار، ظاهرةً بوضوح للعيان. في ذلك اليوم بينما أسير في الحديقة، خطرت «هي» في ذهني لأول مرة من مدة طويلة.

إنسانةٌ واجهت مصير هذه المدينة نفسه. مدينةٌ تعرّضت في وقت ما للدمار والموت. ثم أعادت بناء

نفسها بدقة على أساس من أطلال طهرتها النيران وباتت شيئا جديدا. شاركت بعض الواجهات والأعمدة الناجية في إعادة الإحياء. فانتهت المدينة حاملة سمة غريبة، خليطا بين الجديد وأطلال القديم. الجديد المختلف عن القديم.

أشياءُ مُعينةٌ في الظَّلام

أشياءُ معينةٌ تظهرُ بيضاء في الظَّلام.

عندما يتداخل أقل قدر من النور في الظلام، تظهرُ الأشياءُ كبريقٍ أبيض محاطٍ بهالة ضبابية.

كل ليلةٍ، أجهزُ سريرَ الأريكةِ في زاوية حجرة المعيشة استعدادًا للنوم ثم أستلقي عليه في قلب هذا النور الشاحب. لكن بدلًا من أن أحاول النوم، أنتظرُ وأشعر بحواسي تزداد حدة وتناغمًا مع مرور الزمن. تُلقِي الأشجار خارج النافذة بظلالها على الحائط القرميدي الأبيض. ثم تستحوذُ المدينة على تفكيري. أتخيل الشخص الذي يُشبِه هذه المدينة، مفكرةً في الظل المنعكس عن وجهه وأنتظرُ أن تتجمعَ ملامحُ هذا الوجه في ذهني، كي أستطيعَ قراءة التعبيرِ الذي يحمله.





قرأت عن قصة رجل وُلد في هذه المدينة يزعم أنه عاش طوال حياته التي يمكنه تذكرها ترافقه روح أخيه الأكبر، الذي مات في السادسة من عمره في غيتو يهودي. يسمع هذا الرجل صوت أخيه الطفل من وقت إلى آخر من دون أن يراه أو يشعر بوجوده. مجرد صوت. بالإضافة إلى ذلك، فإن أخاه يتكلّم بلغة غريبة عنه لأن زوجين من بلجيكا قد تبنيا الرجلَ بعد الحرب، وهكذا نشأ في بلجيكا، ولذا لا يستطيع أن يميز إذا كان من يتحدث معه هو أخوه حقًا.

قد يكون مجرد حلم من أحلام اليقظة، فكّر الرجل، حيث كل شيء يتكرر بلا نهاية أو ربما هي علامة على اضطراب عقلي.

في سن الثامنة عشرة حين أخبروه بتاريخ عائلته الحقيقية، بدأ يدرس لغة هذه البلد كي يفهم ماذا كانت تحاول هذه الروح إخباره. وهكذا تعرف على مخاوف أخيه، أخيه الأكبر والأصغر في آن واحد. عرف أنه كان يصرخ في ذعر بكلمات متوسلة بالكاد تمكن من التفوه بها حين اقتحم الجنود النازيون الدار لإلقاء القبض عليه.

واجهت صعوبة في النوم خلال الأيام التالية لقراءتي ذلك، عاجزة عن منع نفسي عن التفكير في اللحظات الأخيرة لذلك الطفل ذي الست سنوات، الذي لقي حتفه

في النهاية.

في الساعات القليلة من تلك الليالي المؤرقة حين تهدأ أخيرًا الزوبعة التي تجتاحني، أبدأ في التفكير: لو أتت طفلة أمي الأولى التي عاشت لساعتين فقط لزيارتي بطريقة مشابهة، فإنني سأكون في حالة من الضياع التام لأن الطفلة لم تسنح لها الفرصة كي تتعلّم اللغة حتى. لساعة واحدة فتحت عينيها على هذا العالم وحرّكتهما في اتجاه وجه والدتنا منجذبة إلى صوتها، لكن عصبها البصري لم يملك الوقت أبدًا كي يعمل، لذا لم تتمكّن حتى من رؤية وجه والدتنا. بالنسبة إليها، كل ما تعرفه هو ذلك الصوت. لا تموتي، من أجل الرب. لا تموتي. كلماتٌ مبهمةٌ. الكلماتُ الوحيدة التي كُتِب لها ألّا تسمعَ غيرها.

لذا لا يمكنني أن أؤكّد أو أنفي إذا كانت قد بحثت عني حقًا، إذا كانت قد حلّقت فوق رأسي أو قُرب حوافِّ عيني. لم أكن أفهم ذلك الشعور الغريب الذي كان ينتابني وأنا طفلة: انفجار مفاجئ لمشاعرَ جيّاشةٍ بداخلي. أتساءل الآن إن كانت هي مصدره.

هنالك لحظات أكون فيها مستلقيةً في حجرة مظلمة ويكون للبرودة في الجو وجودٌ ملموس. لا تموتي. من أجل الرب، لا تموتي. ألتفتُ باتجاه تلك الأصوات المبهمة المصدر، يملأني مزيج من حبٍّ وألم. ألتفت باتجاه غشاوةٍ باهتةٍ وحرارةِ جسد. ربما أفتح عيني في الظلام كما فعلت هي، وأحدّق في الفراغ.

حليب الثدي

استلقت المرأة ذات الاثنتين وعشرين سنة وحدها في البيت في صباح يوم سبت بينما لا تزال موجة الصقيع الأولى تلتصق بالعشب وتكسوه بالأبيض. في تلك اللحظة يصعد زوجها ذو الخمسة والعشرين ربيعًا الجبل حاملًا جاروفًا كي يدفن الطفلة التي وُلدت وماتت بالأمس. لن تنفتح عينا المرأة المنتفختان من البكاء بشكل طبيعي. تئنُّ كل مفاصل جسمها وتشتعلُ سلاميات أصابعها المتورمة ألمًا.

ثم فجأة، ولأول مرة، تشعرُ بفيضٍ دافئٍ داخل صدرها. اعتدلت في جلستها وعصرتْ ثديها بقوة. في البداية خرجت قطرةٌ أشبه بالماء مائلةٌ للأصفر، قبل أن يندفع حليبٌ أبيضُ أملس.

هي

أفكرُ فيها وقد عاشت لتشرب من ذلك الحليب.

أفكرُ في تنفسها البطيء، في ارتجاف شفتيها الضئيلتين بينما يحيط فمُها بحلمة ثدي أمها.

أفكرُ فيها وقد فُطِمت وصارت تأكل عصيدة الأرز. أفكرُ فيها وهي تكبر يومًا بعد يوم حتى تصبح امرأة، تجتازُ كل أزمة تواجهها في الحياة.

أفكرُ في الموت يجرّ أذيالَ الهزيمة في كل مرة تُعطيه ظهرها بينما تواصلُ المضي بثباتٍ إلى الأمام.

لا تموتي. من أجل الربّ، لا تموتي.

تعيشُ بسبب تلك الكلمات التي تحيطها وتحميها، كتميمة على جسدها.

وأفكرُ فيها تأتي إلى هنا بدلًا مني، إلى هذه المدينة المألوفة بصورة مثيرة للفضول.

المدينةُ التي يشبه موتُها وحياتُها، موت وحياة أختي.

شمعة

تخيلتها تمشي في شوارع المدينة. تلمح جزءًا من جدارٍ مبني بالطوب الأحمر عند مفترق طريق. في أثناء إعادة بناء مبنى مهدّم آخر، هُدمت بقايا هذا الجدار وأعيد بناؤه على بعد متر من مكانه الأصلي. كُتِب على ارتفاعٍ منخفضٍ في الجدار نقشٌ يشرح كيف كان ضباط النازية يأمرون المدنيين بالاصطفاف بطول الجدار قبل أن يرموهم بالرصاص. وُضعت مزهرية أمام الجدار بينما يعلو قمته عددٌ من الشموع البيضاء يتلاعب النسيمُ بلهبها.

لا يزال الضبابُ يغطي المدينة لكنه أقلُ كثافة مما كان عليه في الصباح الباكر. شفّاف مثل ورق الخرائط. لو هبت ريحٌ قوية لانقشع الضباب، ولربما بدأت الأطلال التي تعود إلى سبعين سنة ماضية في التجلّي، وهي تندفع خارجة من وراء المباني الجديدة القائمة الآن مكانها. ربما ستظهر أشباح الموتى المجتمعة هناك بالقرب منها، لتقف أمام الجدار بعيون متوهجة حيث أعدِموا من دون سبب.

لكن لا توجد رياحٌ، ولم يظهر شيءٌ سوى ما هو واضحٌ للعين بالفعل. استمرت قطراتُ الشمع الأبيض الدافئ في النزول ببطء كي يلتهمها اللهب الأبيض. تتقلّص أعواد الشمع تدريجيًا حتى تتلاشى من الوجود في النهاية.

الآن سأمنحك أشياء بيضاء،

لكن ما هو أبيض قد يَدْنَس

فَقط الأشياء البيضاء سأمنحك.

لن أتساءل بعد الآن

إن كان علي منحك هذه الحياة.



2

هي

쉬

قشرة جليدية

النافذة لا تزال مبللة مما سمح بتكون قشرة جليدية على زجاجها. كان ذلك في منتصف الشتاء. ذكرها هذا الشكل الأبيض بالجليد المتكون على سطح جدول.

قال الكاتب «بارك تاي ون»[3] إن نافذة كتلك لفتت انتباهه عند ولادة ابنته لهذا سماها سول - يونغ. «زهرة الثلج».

رأت مزة البحر نفسه وقد تجمد. التقى امتداد من المياه الضحلة مع تيار ماء بارد ليكونا طبقات متراكبة من أمواج متجمدة كطبقات من زهور بيضاء متلألئة تم تصويرها في لحظة تفتحها.

رأت سمكًا متجمدًا، مبعثرًا على الشاطئ الرملي. تتذكر اللمعان الشديد لقشوره. في تلك الأيام يقول سكان تلك المنطقة «لقد اكتسى البحر بقشرة جليدية».

---

(3) بارك تاي ون (1909: 1986): شاعر وكاتب قصة قصيرة وروائي كوري جنوبي. كان من أعضاء مجموعة التسعة وهي مجموعة من تسعة أدباء كوريين مهتمة بجماليات الأدب وترفض استغلاله لتحقيق مصالح أيديولوجية معينة.

صقيع

كان اليوم الذي وُلِدَتْ فيه صقيعيًا أكثر من كونه ثلجياً. مع ذلك اختار والدها كلمة سيول «ثلج» كمقطع من اسمها.

بينما تكبر، تولّدت بداخلها حساسيةٌ غريبةٌ تجاه البرد وكرهت بشدّة البرودة الكامنة في اسمها. مع ذلك كانت تحبّ أن تدوس على الأرضية المغطاة بالصقيع، وأن تشعر بالتراب نصف المتجمّد من خلال حذائها الرياضي.

تحتوي طبقة الصقيع الأولى، التي لم تمسّها قدمٌ بعد، على بلورات صغيرة من الملح النقي. تخفّت أشعة الشمس شيئًا فشيئًا بينما يولد الصقيع. تنبعث أنفاس بيضاء من الأفواه الدافئة. تهتزُّ الأشجار فتتساقط أوراقها فيخفّف ذلك من حملها باطّراد. تبدو الأجسام الصلبة مثل الحجارة والمباني أكثر كثافة. يبدو الرجال والنساء من الخلف في معاطفهم الثقيلة مشبعين بهواجس صامتة، هواجس أناسٍ على وشك تحمّل قسوة الشتاء.

أجنحة

رأت الفراشة عند أطراف هذه المدينة. كانت فراشةً بيضاء واحدةً، تطوي جناحيها فوق أجمة قصب. كان ذلك في صباح الأول من نوفمبر.

لم تر أي فراشة في هذه المنطقة منذ الصيف، أين كانت هذه الفراشة مختبئة إذًا؟

لقد هبطت حرارة الجو بشكلٍ ملحوظٍ في الأسبوع الماضي وتسبب التجمد المتكرر لأجنحة الفراشة في ترشيح لونها الأبيض فتركت أجزاء من جسمها شفافة إلى حد كبير. بدت شديدة الصفاء والنقاء إلى درجة أن الأجنحة كانت تومض مع الانعكاس الأسود للأرض.

لم يبق الآن سوى وقت قصيرٍ جدًا، قبل أن يتلاشى اللون الأبيض للأجنحة تمامًا. ستصبح الأجنحة شيئًا آخر ولن تعود أجنحةً مرة أخرى، وستصبح الفراشةُ شيئًا آخر لا ينتمي إلى عالم الفراشات.

قبضة يد

مشت في شوارع المدينة حتى تيبست عضلات ساقيها، فانتظرت. انتظرت أن ينساب شيء من لغتها الأم - عبارة أو شذرات كلام - بخفّة إلى طرف لسانها. فكّرت أن بإمكانها الكتابة عن الثلج. في هذه المدينة، التي يقولون إن الثلج يهطل فيها نصف العام ويتوقّف في نصفه الآخر، كانت تنتظر بترقّب قدوم الشتاء.

تأمّلت واجهات المحالّ. لم تشوّش بلوراث الثلج الانعكاسات الظاهرة عليها بعد. لا تعلو ذرات الثلج رؤوس المارة الذين يعبرون الشوارع بعد. بالكاد تمسّ أشكال الثلج غير المنتظمة، التي لم تأخذ شكل الندف بعد، جباهتهم. أحكمت إغلاق قبضة يدها البيضاء بفعل البرودة ثم واصلت المشي.

ثلج

هبطت رقاقةُ ثلجٍ كبيرة على ظهرِ كمّ معطفها. ثم سرعان ما كشفت عن كريستالاتها حتى للعين المجردة. تمكنت من رؤية كل شيء بعد ثانيتين فقط. أشكالٌ سداسيةٌ غامضةٌ تذوبُ وتتلاشى.

عندما بدأ الثلج في الهطول، ترك الناس أشغالهم وركّزوا انتباههم عليه. رفع الركّاب في حافلةٍ عيونهم عن حجورهم وحدقوا من النافذة لفترة. لكن بمجرد أن استمر الثلج في هطوله الرتيب والصامت المجرَّد من أي شعور بالفرح أو الحزن واكتست الشوارع تمامًا بالأبيض، أبعد الناس وجوههم عن الثلج ولم تعد بلورات الثلج الضبابية تنعكس في عيونهم.

نُدَفُ الثلجِ

في وقت متأخرٍ من الليل، منذ زمن بعيد، رأتْ رجلًا راقدًا على جنبه من دون حراك أسفل عمود أسلاك الهاتف. هل سقط؟ هل هو سكران؟ هل يجب عليها الاتصال بالإسعاف؟ تسمرتْ في مكانها مترددةً، فهي لا يمكنها الابتعاد عن المشهد لكن في الوقت نفسه خائفةً من الاقتراب. اعتدل الرجلُ في جلسته ببطء قبل أن يركّز نظرته الخالية من أي تعبيرٍ عليها. جفلتْ وارتجفتْ: رغم أنها غير معرّضة لأي تهديد مباشر، إلا أن الزقاق كان مهجورًا. ابتعدت بخطواتٍ سريعة قبل أن تلتفت إلى الوراء. كان الرجلُ لا يزال جالسًا على الرصيف البارد في الوضعية الخرقاء نفسها، وهو يحدّق بإمعان باتجاه ما يشبه حائط جبس تعلوه القذارة ويمتد بطول الجانب المقابل من الزقاق.

هو المنهار في زقاق،

هو الذي يحاول النهوض مستعينًا بأصابع خدّرها البرد،

مفكّرًا في معنى حياته حتى الآن،

في الوحدة التي تنتظره في البيت.

مفكّرًا: ما هذا الأبيض القذر؟!

إنه الثلج الذي لا يتوقف عن السقوط.

***

النُدَف المتناثرة تطيرُ في كلّ الاتجاهاتِ

في الهواء الأسود حيث لا يمكن لأضواء الشوارع أن تلمسها.

تدور فوق الأغصان السوداء للأشجار الخرساء

تلامس الرؤوس المنحنية التي تمشي متثاقلة في الليل.

ثلجٌ أبديٌ

رغبتْ بالعيش في مكان يطلّ على منظرِ هطولِ ثلجٍ دائم. حيث الأشجار الكثيفة خارج نافذتها تدلّ على التغير في فصول السنة، في مقابل خلفية ثابتة لا تتغير من الجبال التي يكسو الجليد قممها طوال العام.

كانت يدها الدافئة على جبهتها المصابة بالحمى، بينما ترقد مريضة وحدها في البيت في يوم دراسي. كانت تشاهد فيلمًا تم إنتاجه هنا عام 1980. تدور أحداثه حول البطل الرئيسي الذي فقد والده وهو في السابعة وتولّت تربيته أمه الرقيقة الهادئة. (كان والده في التاسعة والعشرين فقط حين لقي حتفه وهو يتسلّق الهيملايا مع مجموعة من الأصدقاء. لم يعثر على جثته أبدًا). غادر الابن بيت والدته عندما صار كبيرًا بشكل كافٍ، وعاش وحيدًا وفقًا لقواعد أخلاقية صارمة. كلّما كان عليه اتخاذ قرارٍ ما، كان يرى في عقله منظرًا طبيعيًا مُوحِشًا: منظر ثلجٍ يهطلُ بكثافة على جبال الهيملايا التي يكسوها الجليد كبياض شاسع داخل عقله. في كل مرة، كان يختار القرار الأصعب، القرار الذي قد يجبُنُ الكثيرون عند اتخاذه. في زمن ساد فيه الفساد والمحسوبيةُ، كان وحده يرفضُ الرشاوى. ولهذا صار إنسانًا منبوذًا. تعرّض لاعتداءات جسدية. في النهاية نصبوا له فخًا ووقع فيه. على أثره، طُرِدَ من العمل فعاد إلى بيته وحيدًا. هناك، ترك نفسه يضيعُ في بحرِ أفكاره. ملأت قممُ ووديانُ تلك الجبال البعيدة

مجال رؤيته.

المكان الوحيد الذي لا يمكنه الذهاب إليه.

أرض الجليد حيث تقبع جثةُ والده المتجمدة مختفية منسية،

وحيث لا يُداس على البشر.

مَوجٌ

بَرزَ سطحُ الماء عاليًا على مبعدةٍ من الشاطئ، واستعدَّ بحزِ الشتاء لثورته المرتقبة، وتلاطمت أمواجه مقتربةً من بلوغ ذروتها. تصلُ الموجةُ لأعلى ارتفاع ممكن قبل أن تتحطمَ في رذاذٍ أبيض. ثم ينحسرُ الماءُ المتكسِّرُ على الشاطئ الرملي.

وقفْتُ فوق هذا الحدِّ الفاصل حيث تلتقي اليابسة بالماء، تشاهد الحركة المتكرِّرة والأبديَّة للموج (رغم أنَّ هذه الأبدية هي في الحقيقة وهمٌ، يومًا ما ستتلاشى الأرض، يومًا ما سيتلاشى كل شيء. يمكنها الشعور بوضوح لا لبس فيه أن الحياة في نهاية المطاف لا شيء سوى بضع لحظات قصيرة).

كل موجة تصبح شديدة البياض في لحظة انكسارها. لمع جسد الماء الهادئ قرب الشاطئ كقشور سمكٍ لا حصر لعددها. ترى لمعان موجه الهادئ، ترى تنقله وثورته، ثم في النهاية ترى انحساره وفناءه.

لا شيءَ أبديًا.

مطرٌ متجمّد

لا ينظرُ القدرُ إلى حياةِ أيٍّ منّا بعينِ التحيزِ أو المحاباةِ.

هطلَ المطرُ المتجمّد بينما تجوبُ الشوارعَ وهي تفكّرُ في هذه المعلومة. يترك المطر المتجمّد الخدودَ والرموشَ مُثقلَةً بالبلل. كل شيء يمضي، هكذا فكّرت. تذكّرت أثناء سيرها تلك الحقيقة التي أثبتتها لها الحياة مرارًا: حقيقة أنَّ كل شيء تتعلّق به، يبتعد عنها دائمًا ثم يتلاشى إلى الأبد.

يستمرُّ المطرُ المتجمّدُ في السقوط. يبلّلُ المطرُ المتجمّدُ - ليس مطرًا ولا ثلجًا، ليس جليدًا ولا ماء - رموشها وينسابُ على وجهها سواء وقفت في مكانها أم أسرعت الخطى، سواء أغلقت عينيها أم فتحتهما.

كلبٌ أبيضُ

ما الذي يمكن أن يكون كلبًا وهو كلبٌ لكنه لا ينبحُ؟

كانت طفلةً حين سمعت هذه الأحجية. متى؟ ومن سألها؟ لا تتذكر الآن.

في الصيف الذي بلغت فيه الرابعة والعشرين، واستقالت من أول وظيفة لها وعادت إلى بيتها الذي تربت فيه، رأتْ كلبًا أبيضَ في فناء بيت الجيران. في الماضي كان ذلك الفناء مأوى لكلب توسا وحشي تمت تربيته ليشارك في مصارعة الكلاب. كان يندفع إلى الأمام ويجرُّ معه السلسلة المعدنية حتى يصل إلى أقصى مدى له ثم يكشِّرُ عن أنيابه وينبحُ بأعلى صوته. لو ارتخى الحبل حول عنقه أو انقطعَ فسيطير نحوك في لمح البصر ويغرزُ أسنانه في لحمك. رغم معرفتها بأن الكلب مربوطٌ بإحكام، إلّا أنها كانت تبقى بعيدةً عنه بقدر الإمكان كلما مرّت بجوار البوابة، مرعوبة من وحشيته.

الآن كان كلبٌ هجين، لكن له صلة ضعيفة بسلالة الجندو، مربوطًا في مكان كلب التوسا. كان جسمه منقَّطًا ببقع تكشف عن لحمه، دوائر بنفسجية وسط البياض الباهت لفروه. لا ينبح هذا الكلب ولا يدمدم حتى. عندما رأته لأول مرة، جحظت عيناها ووقفت مشدوهة بينما تصرُّ السلسلة الملتفّة حول عنقه فوق الأرضية الإسمنتية. كان ذلك في أغسطس، وكانت

أشعة الشمس الحارقة لا ترحم. ربما بسبب هذا الحر الذي لا يطاق، كان الطريق الذي يشق القرية مهجورًا. لا يكسر الصمت سوى الصوت المعدني المزعج للسلسلة في كل مرة يتراجع فيها الكلب إلى الوراء. مع كل حركة طفيفة تتحركها هي، يرتجف الكلب من جديد، ويلتصق أكثر بالأرضية ويخمش بأظافره، بينما يتراجع أكثر ساحبًا السلسلة معه فوق الأرضية. كان يُبقي عينيه مثبتة عليها طوال الوقت. فجأة تلاشى خوفها حين أمعنت النظر في عينَي الكلب.

الرعب. كان الرعب هو ما قرأته في عينيه السوداوتين.

في تلك الليلة سألت أمها عن الكلب.

«لا ينبح حتى إذا شاهد غريبًا»، قالت أمها، «فقط ينكمش في مكانه ويرتجف من الخوف. يفكّر صاحبه في بيعه. فماذا سيحدث إذا تسلّل لصٌ إلى البيت؟».

لم يتخلَّ الكلب عن خوفه منها أبدًا. حتى في آخر يوم لها في البيت، بعد أن منحته أسبوعًا كاملًا للاعتياد عليها، التصق بالأرض وتقهقر إلى الوراء بمجرد أن خرجت خارج البوابة. لوى رأسه إلى الوراء كما لو أن شيئًا ما كان يخنق قصبته الهوائية. رغم تدلّي لسانه خارج فمه، لم يصدر عنه أيّ صوت مسموع. الصوت الوحيد الذي يصدر عن الكلب هو الصرير الخافت لحركة السلسلة فوق الأرض الإسمنتية. حتى رؤية أمها، الوجه المألوف له منذ قدومه إلى هنا منذ شهور عديدة،

يثير فيه ردة الفعل المذعورة نفسها. حسنًا، الآن. هيا. كان صوتها رقيقًا وباعثًا على الهدوء بينما تسير مقتربة منه. يا له من كائن تعيس ومسكين، غمغمت وهي تطقطق بلسانها. لا بد أنه قد عانى الكثير.

الكلب الذي هو كلب، لكنه لا ينبح؟

الإجابة غير المثيرة لهذه الأحجية هي ضباب. لذا سمت الكلب «ضباب». الكلب الذي يشبه في شكله الخارجي كلبها وهي طفلة، الذي صار الآن ذكرى مشوشة من ماضٍ بعيد.

في شتاء السنة نفسها، عادت إلى بيت العائلة مرة أخرى، لم تجد «ضباب». بدلًا من ذلك حياها كلب بولدوج فظ، يلهث بلسانه بحيوية بالغة وصوت جهوري مخيف.

ماذا حدث للكلب الآخر؟ سألت والدتها. هزت والدتها رأسها. عرضه صاحبه للبيع طوال فترة الصيف لكنه لم يستطع التخلي عنه، ثم أتى الصقيع وانخفضت الحرارة بشدة فنفق الكلب.

مرض وتوقف عن لمس طعامه واستلقى هناك من دون أي حركة. لم يصدر عنه أي صوت طوال وقت احتضاره.



عاصفةٌ ثلجيةٌ

في أحد الأيام منذ سنواتٍ قليلةٍ، كان هنالك تحذير بهطول كثيف للثلج على سيول. كانت سول على شفا عاصفة جليدية بينما تسير بمفردها في طريق تلّي. أثبتت مظلّتها أنها عديمة الفائدة، فلم تستطع أن تمنع وصول الثلج إليها. استمرّت في المشي، بينما ندف الثلج البيضاء تجد طريقها إلى وجهها وجسمها، سريعة وكثيفة. لم تستطع فهم ما طبيعة هذا الشيء بحق السماء: هذا الشيء البارد جدًا والعدواني جدًا، هذه الهشاشة التي سرعان ما تتلاشى. هذا الوزن الثقيل للجمال.

رَمادٌ

في ذلك الشتاء الذي شهد العاصفة الثلجية، ذهبتْ مع أخيها الصغير بالسيارة في رحلة استغرقت ست ساعات إلى شاطئ البحر على الساحل الجنوبي لنهر هان، كي يضعا الصندوق الذي يحوي عظام أمهما المطحونة في القبو الذي تحفظُ فيه عظام الموتى، في معبد صغير يطلُّ على مشهد البحر البعيد. هذا هو المكان الذي ستسكنه روح أمهما. سيهتف الكهنة باسمها مع السوترا[4] في الساعات الأولى من الصباح. سيضاء فانوس ورقي لتخليد ذكراها في عيد ميلاد بوذا.

سيمكثُ رمادُ أمنا مع تلك الأصوات، وتلك الأضواء، في هدوء أبديٍّ داخل دُرجٍ حجريٍّ مغلَق.

---

(4) سوترا: النصوص القديمة في البوذية وهي بمثابة أقوال وحكم مأثورة.

مِلْح

في أحد الأيام أمسكت حفنة من الملح الخشن في يدها وفحصتها عن قرب. تلك الكريستالات رائعة الجمال التي يختلط فيها الأبيض مع الرمادي. كانت أول مرة تشعر فيها حقًا بالقوة الكامنة داخل هذه المادة: قوة الحفظ، قوة التعقيم، وقوة الشفاء.

في مرة قبل ذلك، كانت تعِدّ الطعام، فالتقطت بعض الملح بيد مجروحة. إذا كان ترك السكين تنزلق وتجرحها هو الخطأ الأول الذي ترتكبه، فإن تركها للملح يلامس جرحها المكشوف كان الخطأ الثاني والأسوأ. تلك هي اللحظة التي فهمت فيها حقًا، معنى التعبير «صب الملح على الجرح».

في وقت لاحق، شاهدت صورةً فوتوغرافيةً قديمةً لتلة مِلح. يأتي الزواز إلى تلة الملحِ كي يضعوا أقدامهم العارية فيها. بعد أن تجلس على مقعد أمام التلّة مخصّص لهذا الغرض، تخلع حذاءك وجوربيك وتغوص بقدميك في الملح. يمكنك أن تجلس هناك المدّة التي تشاء.

تُظهِرُ الصورة القديمة خلفية سوداء حيث مصدر الضوء المرتعش الوحيد هو قمة تلة الملح، والتي كانت أطول قليلًا من طول الإنسان العادي. في الصورة أيضًا زائرة وجهها مختفٍ في الظل، تجلس على مقعد بينما قدماها العاريتان على الملح المنحدر. ربما لأنها تجلس

منذ مدة طويلة، تبدو في الصورة تلّة الملح وجسم المرأة كأنهما ملتحمان بشكل طبيعيٍ ومؤلم.

كي تفعل مثل تلك المرأة، فكرّت وهي تتأمّل الصورة، يجب أن تمتلك قدمًا خالية من الجروح أو الندبات. فقط لو كانت جروح قدمي ملتئمة تمامًا، حينها فقط كان يمكنني أن أريحهما على جبل الملح ذاك. حيث يحتفظ الظلُّ بالبرودة، مهما سطع بالأبيض.

قَمَرٌ

عندما تسبح الغيوم أمام القمر وتحجب نوره بالكامل، فإن هذه النجوم تلمع بيضاء باردة. عندما تختلط الغيوم السوداء بالغيوم البيضاء يتشكّل كياروسكورو[5] لطيف رقيق، يختفي القمر الشاحب خلف هذا الشكل المعتم، محاطًا بغمامةٍ من ضوءٍ أزرق باهتٍ، أو ضوءٍ بلون زهرةِ الليلك، أو ضوء رمادي شاحب. يتضاءل القمر إلى شظية صغيرة سواء أكان بدرًا مكتملا أم نصف قمر أم هلال.

في كل مرة تحدق نحو القمر في منتصف الشهر، ترى فيه وجه إنسان. منذ أيام طفولتها، كانت تصمُّ أذنيها عن كل الشروح التي يقدمها الكبار لها: لم تستطع أبدًا أن ترى الأشكال التي يقولون لها إنها هناك: زوج أرانب وهاون يطحنان فيه الأرز. كل ما تمكّنت من رؤيته هو زوجٌ من العيونِ سارحة في أفكارها فوق ظل يشبه الأنف.

في الليالي التي يكون فيها القمر أكبر من حجمه المعتاد، تترك ستائرَ شقّتها مفتوحة وتدع فيض النور يتسلّل إلى كلّ شبرٍ منها. تسير ذهابًا وإيابًا، تحت الضوء المنبعث من الوجه الأبيض الضخم السارح في تأملاته والظلام النابع من عينيين سوداوين.

---

[5] كياروسكورو: هو طريقة معالجة الضوء والظل في الرسم. وهو تأثير تضارب الضوء والظل في لوحة

مرسومة. كان أول ظهور لهذا المصطلح في عصر النهضة.

ستارة دانتيل

هل أنّ لقاءاتنا المفاجئة مع الأشياء البسيطة جدا لا تفشلُ في إثارة مشاعرنا بسبب كل هذا البياض الذي لا يكف عن الحركة في داخلنا، الذي لا تشوبه شائبة، الطاهر غير المدنّس؟

قادها تجوالها العشوائي عبر الشوارع المتجمدة إلى هذه البناية. عندما رفعت بصرها نحو الطابق الأول، رأت ستارة رقيقة وشفّافة من الدانتيل.

هنالك أوقات يبدو أنّ باستطاعة الأبيض الناصع لملاءة سرير مغسولة حديثًا أن يتحدث إليها. عندما يمس قماش قطنيّ لحمها العاري، في تلك اللحظة، يبدو لها أنه يهمس في أذنها:

أنت إنسانة نبيلة. نومك هادئ، ولا شيء في حياتك يستدعي الخجل.

يا له من مصدرٍ غريبٍ تستمدّ منه الطمأنينة، في ذلك الوقت الذي يخترق النوم فيه حدود اليقظة، حين تلامس ملاءات السرير القطنية الناصعة البياض جلدها.

سَحابةُ نَفَسٍ

في الصباحات الباردة، تكون السحابة البيضاء الأولى من النفس الهاربة من أفواهنا هي الدليل على أننا أحياء، الدليل على الدفء المنبعث من أجسامنا. ثم يندفع الهواء البارد إلى داخل رئتينا المظلمة، ليمتص حرارة جسمنا ثم يخرج مع الزفير في شكلٍ يمكن رؤيته، أبيض مختلط بالرمادي. وهكذا يتجسد الانتشاز الإعجازي الذي يمنحنا الحياة أمام أعيننا.

طيور بيضاء

وقف سربٌ من النوارس البيضاءِ على الشاطئ في الشتاء. حوالي عشرين نورسًا، تقريبًا؟ ليست متأكدة. كانت الطيور تواجه البحر بينما الشمس تميلُ إلى غروبها نحو الأفق البعيد. بدت الطيور في وقفتها المهيبة والساكنة وكأنها تشهد مراسم صامتة، محافظةً على ثباتها في هذا البرد الذي تصل درجة الحرارة فيه إلى تحت الصفر بينما تشاهد أفول النهار.

توقفت عن المشي، وتركت نظرها يتبع نظرات النوارس نحو مصدر الضوء القرمزي المتوهج. رغم أن البرد كان قارصًا إلى درجة أنها شعرت بأسنانه تنهش في عظامها، لكنها كانت تعرف أن الحرارة المنبعثة من ذلك الضوء المحتضر هي بالتحديد ما تحمي جسدها من التجمد.

في أحد أيام صيف سول، كان يسير طائر كركي على حافة الماء. أبيض تمامًا باستثناء قائمتين حمراوين لامعتين. كان الطائر يشق طريقه خارجًا من الماء في اتجاه صخرة كبيرة وملساء. هل كان مدركًا أنها تحدق فيه؟ ربما. وهل كان يشعر أيضًا أنها لا تريد أن تؤذيه؟ لهذا علت وجهه نظرة وديعة بينما يواجه الضفة المقابلة، تاركًا أشعة الشمس تجفف قائمتيه الحمراوين.

لماذا تثيرُ رؤيةُ الطيورِ البيضاء مشاعرَها بطريقة لا تفعلها رؤية أي طيور أخرى؟ هي لا تعرف.

ولماذا تبدو تلك الطيور رحيمة، وحتى طاهرة أحيانًا؟

من حين إلى آخر يراودها حلم ترى فيه طيرًا أبيض يحلّق مبتعدًا. الطائر الأبيض قريبٌ جدًا، قريبٌ إلى درجةٍ تشعر بأن في إمكانها أن تمد يديها وتمسكه. بينما يطير إلى الأمام، مرفرفًا بجناحيه في صمتٍ تامٍّ، تتكسّر أشعة الشمس فوق ريشه. يطير بعيدًا جدًا. ومع ذلك، بطريقة ما، يظلّ في مجال رؤيتها. ينزلق عبر الهواء يفرد جناحيه اللامعين على جانبيه. ولا يختفي أبدًا.

كيف تفسّر ما حدث لها؟ طائر أبيض حطّ فوق رأسها للحظة ثم طار من جديد. كانت في طريقها إلى البيت غاضبةً من شيء ما، عبرت الحديقة ثم سارت بمحاذاة ضفة جدول. انقضّ شيء ما عليها ثم استقر بجسمه الكبير فوق قمة رأسها. بعد أن فرد جناحيه اللذين غطيا جانبي وجهها كالخمار - تكاد أطراف ريشه أن تلامس خديها، طار نحو سطح مبنى قريب، كما لو أن لا علاقة له بها على الإطلاق.

منديلٌ

رأته بعد ظهرِ يومٍ في آخرِ الصيف، بينما تعبرُ أمام عمارةٍ منعزلةٍ. لمحتْ سيدةً في الطابقِ الثاني تنشرُ غسيلَها على حبلٍ في الشرفةِ، حين انفلتت بعض الأشياء من يدها. هبطَ منديلٌ بمفرده، بسرعة أبطء من الأشياء الأخرى. أخيرًا استقرَّ على الأرض مثل طائرٍ أجنحته نصف مفرودةٍ، مثل روحٍ تبحثُ مؤقتًا عن مكان لتسكنَه.

الطريقُ اللّبني

بمجرد أن ثبت الشتاء جُذوزه، كانَ كل يوم تقريبًا في هذه المدينة غائمًا، ولم يعدْ بإمكانها رؤية النجوم في سماء الليل. هبطتْ حرارةُ الجو إلى تحتِ الصفر. وبدأ الطقسُ يتبعُ نمطًا ثابتًا حيث تتناوبُ الأيامُ الماطرةُ مع أيامِ هطولِ الثلج. سبّب ضغطُ الهواء المنخفض صداعًا متكررًا لها.

تكاد الطيور تلامس الأرض أثناء الطيران. تبدأ الشمس بالغروب في حوالي الثالثة عصرًا، وبحلول الرابعة، يخيّم الظلام.

رفعت عينيها نحو السماء بينما تمشي. سوادٌ لا تعرفه بلدها الأم إلّا ليلًا. تحوّل تفكيرها نحو السّدم، نحو آلاف النجوم التي تشبه حُبيبات الملح التي كانت تبعث بنورها إليها في تلك الليالي التي كانت تقضيها في بيت والديها الريفي. تذكّرت الضوء النقي والبارد الذي كان يغمر عينيها، ويطهر ذهنها من كل ذكرى.

الضحكةُ البيضاء

(ربما) يتواجد تعبيز «الضحكة البيضاء» فقط في قاموس لغة أمُها. الضحكةُ البيضاء ضحكة باهتةً، خالية من أي فرحة، يتعكّر صفاؤها بسهولة ويفسد مزاج صاحبها بسرعة.

«تعرف، لقد ضحكت ضحكة بيضاء الآن».

في تلك اللحظة تكون «أنت» شخصًا تمكّن من إجبار نفسه على الضحك بينما يعاني في صمت من صراع داخلي.

« ضحك ضحكة بيضاء». تُخبرها.

تشير هنا غالبًا إلى شخص يقاتلُ كي يعزلَ نفسه عن شيء ما يضطرم في داخله.

ماغنوليا

مات زميلان لها في الجامعة في تعاقب سريع نسبيا. فصلت بين موتهما فترة قصيرة. أحدهما في سن الرابعة والعشرين والآخر في سن الثالثة والعشرين. لقي الأول حتفه في تصادم حافلة، والثاني في أثناء خدمته العسكرية.

في أوائل الربيع، بعد عدة شهور من موت الثاني، تجمع زملاؤهما السابقون المتخرجون من الفصل الدراسي نفسه لشراء شتلتي ماغنوليا وغرسهما فوق تلة داخل أرض الجامعة تواجه قاعة المحاضرات حيث كان الطالبان يدرُسان الأدب.

بعد سنوات عدة، بينما تمشي بجوار تلك الأشجار المزهرة، التي ترمز أزهارها إلى الحياة - إلى تجذير الشباب والحياة بعد الموت - تساءلت: لماذا وقع اختيارنا على الماغنوليا؟ هل لأن الأزهار البيضاء لها علاقة بالحياة؟ أم بالموت؟

قرأت في كتاب أن كلمات cnalb أبيض، calb أسود، وحتى كلمة emalf لهب التي تعني حرفياً «زهرة النار» بالكورية، كل هذه الكلمات مشتقة من الأصل نفسه في اللغات الهندو-أوروبية.

«زهور النارِ البيضاءِ المتوهجةِ في الظلامِ» هي المرادف اللغوي لتفتح أزهار شجرتي ماغنوليا في مارس.

حبوبٌ بيضاءُ صغيرةٌ

من حين إلى آخر تجد نفسها تتساءل، لا بدافع الشفقة على النفس بل بسبب فضول محض:

لو أمكن جمع كل حبوب الأدوية التي تناولتها طوال حياتها، فكم سيكون مجموعها؟ كم ساعة من الألم قد عاشتها في حياتها؟

كانت دائمًا تفشل في بلوغ خط النهاية في أي شيء، كما لو أن الحياة تعمل دائمًا على اعتراض طريقها. كما لو أن القوة التي تمنعها من التقدم نحو الضوء، تقف دائمًا مستعدة داخل جسدها نفسه.

كل تلك الساعات التي ضلّت فيها الطريق وسقطت في دوامة من التردد والشك، كم عددها؟

كم عدد تلك الحبوبِ البيضاءِ الصغيرة؟

مكعبات السكر

كانت في حوالي العاشرة من عمرها حين ذهبت إلى المقهى لأول مرة. كانت ترافق عمتها، وكانت أول مرة تقع فيها عيناها على مكعبات السكّر. تمتلك تلك المكعبات الملفوفة بورق أبيض كمالًا لا يشوبه أي خطأ. بالتأكيد كان كمالًا على الأقل بالنسبة إليها هي الطفلة الصغيرة.

أزالت الورقة بحرص وتحسست بأصبعها السطح الخيبي لمكعب السكر. فتتت قطعة صغيرة منه ووضعتها على طرف لسانها. استطعمت حلاوتها المدوخة قبل أن تُسقط المكعب في النهاية داخل كوبٍ ماء. تنهدت بينما تراه يذوب.

لم تعد مهووسةً بالأشياء الحلوة المذاق، لكن لا يزال منظرُ مكعباتِ السكر الملفوفة تثير فيها إحساس مشاهدةِ شيء ثمين.

هنالك أشياء معينة تظل منيعة أمام القدرة المدمِّرة للزمن. وينطبق ذلك على المعاناة أيضًا. ليس صحيحًا، أن الزمن والمعاناة يشوهان كل شيء. ليس صحيحًا أنهما يهدمان كل شيء.

أضواء

في تلك المدينة التي تتميز بالشتاء القارص البرودة، كشفت لها ليلةً من ديسمبر عما في جعبتها. يخلو الظلام خارج نافذتها من قمرٍ يخفِّف من وحشته. طوال الليل تُركت عشرات المصابيح مضاءة في كل مكان، بدءًا من المحال الصغيرة حتى أفنية العمارات الخلفية، كإجراء أمني تجنبًا للحوادث. تأملت بقع الضوء المتناثرة والمعزولة في سواد الليل. منذ قدومها إلى هذا المكان أو ربما قبل حتى من قدومها، كان نومها متقطعًا وسطحيًا. إذا غلبها النوم لفترة، كانت تستيقظ لتجد أن العالم لا يزال غارقًا في الظلام كما كان قبل نومها. وإذابضربة حظٍّ تمكنت من النوم لفترة أطول، فإنها تستيقظ على أضواء الفجر الواهنة المخضبة بالأزرق وهي تحاول التسرب بثباتٍ من قلب الأسود السائد. مع ذلك، وسط الظلام تبدو تلك الأضواء بيضاء كالثلج في قلب سكونها الواضح، في عزلتها المتفردة.

ألفُ نقطةٍ من الفضَّة

في ليلةٍ، هاجَ البحر من دون أي سبب واضح. كان القارب صغيرًا جدًا، إلى درجة أن أصغر موجة تجعله يهتز ويتمايل بعنف. كانت في الثامنة من عمرها وكانت خائفة، فالتفت حول نفسها محنية الظهر في قاع القارب. في تلك اللحظة بالتحديد، اندفعت بخفّة ألف نقطة من الفضة قادمةً من مسافة بعيدة داخل البحر، واجتازت القارب في لمحِ البصر. في لحظةٍ، نسيت خوفها، وحدقت بعينين متسعتين بعد أن أيقظت حواسها الحركةُ المضطربة لذلك اللمعان الشاسع.

هذا هو قطيع سمك الأنشوجة، قال عمّها ضاحكًا. كان يجلس في مؤخرة القارب طوال الوقت، بالكاد يفتح عينيه. كتلة متشابكة من الشعر الأشعث فوق وجه داكن.

لم يز الأربعين أبدًا. إدمانه على الكحول سيتسبب بوفاته في خلال سنتين.

لمعان

ما الشيءالمميز في المعادن اللامعة كالفضة والذهب، أو حتى الألماس، الذي يجعل الناس تعتقد بأنها أحجارٌ كريمةٌ؟

تُرجِعُ نظرية ذلك إلى حقيقة أنّ لمعان الماء بالنسبة للإنسان الأول كان إشارة على وجود الحياة. كانت المياه اللامعة تعني مياه نظيفة. لا بد للمياه الصالحة للشرب - التي تمنح الحياة - أن تكون شفافة إلى درجة اللمعان.

بعد الارتحال الطويل عبر الصحاري المقفرة والغابات الشاسعة والمستنقعات النتنة، متى تمكنت مجموعةٌ من البشر من تمييز تجمّع من الماء أبيضَ ولامعًا يلوح في الأفق، فإنهم يشعرون بالألم من فرط السعادة. فهنالك توجد حياةٌ. هناك يوجد جمالٌ.

حصاةٌ بيضاء

منذ زمن بعيد، وجدْتُ حصاةً بيضاء على الشاطئ. مسحتُ عنها الرملَ ثم وضعتها في جيبها، وفي البيت أخرجتها ووضعتها في دُرجٍ. حصاة تآكلتْ حتى صارتْ ملساء ومستديرةً بفعل مداعبات الموج الطويلة. للوهلة الأولى، بدا بياض الحصاة شفافًا لكن حين دققت النظر وجدت أنها مخططة. (في الحقيقة كانت حصاة بيضاء عادية جدًا).

من حين إلى آخر كانت تُخرج الحصاة من مخبأها وتضعها في كفِّها وتفكّر:

لو كان بالإمكان تكثيف الصمت في أصغر الأجسام وأكثرها صلابة، فسيكون له شكل وملمس هذه الحصاة.





غظمةٌ بيضاء

في مرة أجرت أشعة مقطعية لتحدد سبب ألم قد أصابها. تظهرُ الأشعةُ الهيكلَ العظمي في صورة رونتغين[6] عظامًا بيضاء مائلة إلى الرمادي في بحرٍ من السواد. أصابها الذعر من رؤية عظامها بهذه الصورة: شيء له صلابةُ الصخرِ، يقبعُ بثباتٍ داخل الجسم البشري.

قبل ذلك بوقتٍ طويلٍ، قرب سن البلوغ، صارت مهووسة بأسماء العظام المختلفة: عظمة الكاحل، عظمة الركبة، لوح الكتف، الضلوع، عظمة القَصِ.

بدت لها حقيقةُ أنَّ البشرَ مخلوقين من شيء آخر غير اللحم والعضلات ضربةَ حظٍ غريبة.

---

(6) رونتغين: مخترع الأشعة المقطعية، لذا تسمى الورقة السوداء السميكة التي تطبع عليها صورة الأشعة بصورة رونتغين.

شعرٌ أبيضُ

تتذكّر أحد مديريها في العمل. كان رجلًا في منتصف العمر لا يكفُّ عن الإفصاح عن رغبته في رؤية عشيقة سابقة له مرة ثانية وهي في آخر العمر حين يصير شعرها أبيض كالريش. عندما تصبح كبازا حقًا... عندما تتحوّل كل شعرة في رأسنا للأبيض، أريد رؤيتها بشدة في تلك اللحظة. قال لها.

إذا كان هنالك وقت يرغب فيه في رؤيتها ثانية، فهو ذلك الوقت بلا شك.

عندما يكون الشباب والجسد قد ذبُلا،

عندما لا يتبقّى وقتٌ للرغبة،

عندما لا يتبقّى سوى فعل شيء واحد بمجرد أن ينتهي اللقاء:

أن ينفصلا.

أن يفترقا عن جسديهما،

أن يفترقا إلى الأبد.

زملٌ

وهي تنسى باستمرار

أنّ جسدها (وأجسادنا جميعًا) بيت من الرمال

تفتّت ولا يزالُ

متسرّبًا من دون توقف من بين الأصابع

غيوم

ذلك الصيف، رأينا الغيوم تعبر فوق الحقول بينما نجلس أمام معبد أونجيو، هل تذكرين؟ تجمّعنا سويّا أمام تمثال بوذا المنحوت في السطح المستوي للجدار الصخري. انسابت ظلالُ غيوم كبيرة واحدة تلو الأخرى بين الأرض والسماء.

مصباح متوهّج

أفرغت مكتبها من كل شيء. لم يتبق سوى مصباح متوهج فوقه، ينبعث منه الضوء والحرارة.

كل شيء ساكنٌ. لم تسدل الستائر لذا يمكنها رؤية مصابيح السيارات الأمامية تتحرك مجتازة الطريق الرئيسي على فترات متباعدة الآن، فقد تجاوز الوقت منتصف الليل. كانت تجلس أمام المكتب، مثل شخص لم يعرف المعاناة أبدًا.

ليس كشخص كان يبكي منذ لحظات، أو على وشك أنْ يفعلَ.

كانت تبدو مثل شخص لم ينكسر أبدًا.

كما لو أنه لم يأتِ وقتٌ أبدًا، كانت فيه الراحة تكمن فقط في استحالة استمرار أي شيء إلى الأبد.

ليالي بيضاء

عرفت بوجودها بعد قدومها إلى المدينة: جزيرة مأهولة في أقصى شمال النرويج، حيث تظلّ شمس الصيف في السماء طوال اليوم، بينما ساعات اليوم الأربع والعشرين في الشتاء كلّها ليل. تساءلت كيف ستكون الحياة اليومية في بيئة قاسية كتلك. اليوم هل هناك الآن ليلٌ أبيض أم نهارٌ أسود؟

لم ينزوِ الألم القديم تمامًا بعد، ولم يتفجر الألم الجديد بشكل كامل بعد. تمرُّ عليها أيامٌ يتضخم فيها كلٌّ من الظلام والنور بذكريات الماضي بصورة مُرعبة. الأشياء الوحيدة التي لا يمكن أن يفحصها عقلها هي ذكريات المستقبل. ترى مستقبلها أمامها الآن كضوء هلامي يومض مثل غازٍ طبيعته مجهولة.

جزيرةُ ضوء

في اللحظةِ التي اعتلت فيها خشبةَ المسرحِ، ومض كشافُ المسرح المثبت في السقف. تتبعت حركتَها أشعته القوية. في تلك اللحظة، صار المكان، باستثناء المسرح، بحرًا من الظلام. بدا لها الجمهور الجالس في الظلام غير حقيقي بصورة غريبة.

فجأة وجدت نفسها في دوامةٍ من الحيرة والارتباك:

هل أنزلُ إلى الأرض المظلمةِ الشاسعة كالمحيط خطوةً مترددة تلو الأخرى، أم أثبتُ أقدامي هنا على جزيرةِ الضوءِ تلك؟

كتابةٌ سوداء على ورقة بيضاء

في كل مرة تتلمس فيها طريقها نحو استعادة حالتها الطبيعية، تكتشف أن الحياة الآن تحمل بين طياتها برودةً مقبضةً. شعور أضعف من أن يسمى «ضغينة» وأقوى من أن يسمى «غلّ».

الشخص الذي كان يحيطها بذراعيه ويقبّل جبهتها كل ليلة انقلب عليها فجأة، أجبرها على مغادرة البيت إلى عراء البرد وجعلها تدرك بألم أن كل هذه الابتسامات المشرقة التي منحها إياها كانت مزيّفة.

نظرت إلى نفسها في المرآة. لم تنس أبدًا أن الموت كان يرفرف بجناحيه خلف ذلك الوجه، ببطء لكن بعنادٍ مثل كتابة سوداء تنزف على ورقة بيضاء رقيقة.

سيكون تعلّم حب الحياةِ من جديدٍ عملية طويلةً ومعقدةً.

لأن عند نقطة معينة حتمًا ستتخلّى عني،

عندما أكون في أضعف حالاتي،

عندما أكون في أمسّ الحاجة إلى المساعدة....

ستعطيني ظهرك ببرود وترحل من دون رجعة.

هذا شيء واضح تمامًا.

ولا يمكنني أن أتناسى وأعود إلى زمن لم أكن أدرك فيه ذلك.

تبغثز

قبل أن ينتهي النهار، بدأ ثلجٌ كثيفٌ في التساقط. في غمضة عين، تحوّلت شوارع المدينة القديمة ذات اللون الرمادي الباهت إلى طبقة من الأبيض. بياض يبدو كاملًا إلى درجة لا يمكن أن يكون معها حقيقيًا. أبرز ذلك البياض الكائنات السائرة ببؤس في خلفيته، مرتدين ثياب العمل المتشابهة بابتذال في طريق عودتهم إلى البيت.

مثلهم، سارت دون توقف عبر الجمال الذي سيختفي قريبًا. كان يختفي بالفعل في صمت.

إلى السكون

عندما اقترب موعد رحيلها، وقفت في ظلام شقتها. كان لديها كلمات تريد أن توجهها إلى سكون المنزل، الذي لم يعد مسموحًا لها بأن تتوحد مع نفسها في داخله.

عندما انتهت الليلة التي كان يبدو أن لا نهاية لها، عندما سمحت النافذة بنفاذ أشعة الشفق الزرقاء، وعندما لمعت السماء بنور لازوردي، وبدأت تتضح معالم شجر الحور خارج البيت تدريجيًا، كان لديها شيء تريد أن تقوله إلى السكون في الساعات الأولى لصباح الأحد بينما لا يزال سكان البناية نائمين.

رجاء امنحني وقتًا أطول قليلًا مثل هذا.

امنحني الوقت كي أطهّر نفسي.

حدٌ فاصلٌ

كبرتُ داخل هذه القصة.

وُلدتُ مبكرًا في الشهر السابع. كانت أمها ذات الاثنين والعشرين ربيعًا غير مستعدة تمامًا عندما أتتها آلام المخاض. أتت موجة الصقيع الأولى مبكرًا هذا العام. كانت والدتها وحيدة في البيت. وبكت الطفلة بصوت متهدّج وواهن لفترة قصيرة بعد أن أتت إلى العالم. ثم سرعان ما كفّت عن البكاء.

ألبست أمها الجسد الصغير الملطخ بالدم الثوب الذي حاكته، ثم لفّتها بحرص في غطاء، تأكدت أنه لا يعوق تنفسها.

تمسكت الطفلة بالثدي الخالي من الحليب، وحاولت أن تمتص بالغريزة حلمته، لكن سرعان ما انحسرت رغبتها هذه. أرقدت الأم الطفلة برقّة على الجزء الأدفأ من الأرضية، لكن عند تلك النقطة توقّفت الطفلة عن البكاء تمامًا، ولم تعد عيناها مفتوحتين. من حين إلى آخر ينتاب الأم إحساس مشؤوم، تهزّ طرف القماط قليلًا، فتفتح الطفلة عينيها للحظات وجيزة قبل أن تضعف حركتها وتنغلق من جديد.

عند لحظة معينة، توقّفت حتى ردة الفعل المحدودة تلك. مع ذلك، قبل الفجر، عندما انساب الحليب لأول مرة من ثدي الأم، ضغطت حلمتها بين شفتي الطفلة الضئيلتين. رغم كل شيء كانت الطفلة لا تزال تتنفس.

كانت تغط في النوم، إلا أن الحلمة في فمها قد حفّزت الامتصاص.

لا تزال عيونها مغلقة. لا تعرف طبيعة الحد الفاصل الذي كانت تتجاوزه الآن.

أجمة قصب

في صباح يوم ما، بعد ليلة من هطول الثلج، كانت تمشي بين أجمة القصب. أزاحت أعواد القصب بيديها، كل عود أبيض رفيع قد انحنى تحت وطأة الثلج. أحاطت أجمة القصب بمستنقع صغيرٍ تعيش فيه بطتان بزيّتان. في وسط المستنقع، حيث تلتقي طبقة رقيقة من الثلج مع الماء الساكن، تطفو البطتان جنبًا إلى جنب على سطح الماء الأزرق المائل إلى الرمادي، وتحني أعناقها لتشرب.

قبل أن تشيح بوجهها عنها، سألت نفسها:

هل تريدين أن تستمري في المقاومة؟ أن تندفعي إلى الأمام؟ هل يستحقّ الأمر؟

كان هنالك وقت في الماضي أجابت فيه مرتجفةً: لا. لكن الآن مشت محتفظة بالإجابة في داخلها بينما تبتعد عن ذلك المستنقع نصف المتجمد الذي يشعرها بالوحشة والهشاشة.

فراشةٌ بيضاء

لو لم تكن الحياةُ تمتد في خطٍ مستقيمٍ حقًا، ربما تدرك عند نقطة ما من حياتها أنها سارت في مسارٍ منحنٍ، مما سيجعلها تصل إلى حقيقة أنها لن تلمح أي شيء من ذلك الماضي لو توقفت وألقت نظرةً سريعةً من فوق كتفها.

حين تعاود النظر إلى الأمام، قد لا يكون هذا الطريق مغطى بالثلج أو الصقيع بعد الآن، بل امتدادٌ ناعمٌ لحشائش الربيع الخضراء. ربما يجذب انتباهها صوت تحليقِ فراشةٍ بيضاء، فتندفع وراءها مأسورة برفرفة أجنحتها التي تشبه نبضاتِ روحٍ مضطربة. فقط في تلك اللحظة قد تصبح على وعي بالأشجار المحيطة بها، التي تستعيد نشاطها ببطءٍ شديد في منظرٍ غريبٍ وخانقٍ كما لو كانت مُستعيدةً لشيء ما، ثم فجأة تتحرر من قيودها بسرعة وتمتد أغصانها في الفراغ، في اتجاه الضوء.

لو كانت الأرواح كائنات فعلًا، فكّرت، فستكون حركتها المعادلَ غير المرئي للتحليق المضطرب لتلك الفراشة البيضاء.

لو كان الأمر كذلك، فهل تنجذب أرواح هذه المدينة أحيانًا إلى الجدار حيث رُميت بالرصاص، وترفرف هناك بحركتها الصامتة لفترة من الزمن؟

لكنها تعرف أن أهل المدينة لا يشعلون الشموع ويضعون الزهور أمام ذلك الجدار من أجل هذه الأرواح فقط. فأهل المدينة يؤمنون أن لا عار في حقيقة أنّ أحباءهم قد قُتِلوا ظُلمًا وغدرًا. هم يفعلون ذلك من أجل أنفسهم أيضًا. يريدون أن يطيلوا فترة الرثاء والحداد إلى أطول فترة ممكنة.

فكرت في بعض الحوادث التي جرت في تاريخ بلدها، البلد التي تركتها لتأتي إلى هنا، في الموتى الذين لم يتم رثاؤهم بشكل كافٍ.

بينما تحاول تخيل تلك الأرواح وهي تسبح هائمة في شوارع المدينة، أدركت أنّ بلدها لم ترثِ موتاها بالشكل الصحيح ولو مرة واحدة.

وأقل أهمية من ذلك، عرفت ما تبقى من عملية «إعادة بنائها». بالتأكيد لم يمت جسدها بعد، لا تزال روحها تملك جسمًا لتسكنه. شعرت بأنها تشبه الجزء الناجي من جدار حجريّ متهدّم لم ينجح القصف في

تدميره تمامًا، فنُقِلَ واستُخدِمَ في بناء مبنى آخر - بعد أن أزالوا آثار الدماءِ عنه - مدركةً أن جسدها لم يعد شابًا كما كان.

بينما تسير، قلّدتِ المشية الواثقة لإنسانٍ لم ينكسر أبدًا. تستر قطعة قماش نظيفة كل جرحٍ في جسدها لم يلتئم تمامًا بعد. تفعل ذلك من دون أي وداعٍ ومن دون أي رثاءٍ. لو آمنت أنها لم تتخطم أبدًا من قبل، يمكِنُها أن تؤمن أنها لن تتخطم أبدًا في المستقبل.

وهكذا بقيت أشياء قليلة عليها أن تفعلها:

أنْ تتوقفَ عن الكذبِ (على نفسِها).

أنْ (تفتحَ عينيها و) تزيلَ الستار الذي يخفي جراحَها.

أنْ تشعلَ شمعةً لكلِ الموتى والأرواحِ التي يمكنها تذكرهم... بما فيها زوجُها هي.

أرزٌ: نَيء ومَطبوخ

خرجتْ من البيت باحثةً عن أرزٍ كي تطبخه على العشاء. البحث عن أرزٍ نيء في هذه المدينة شيءٌ يسهلُ قولهُ ويصعُبُ فعلهُ. حتى في متجر بقالةٍ كبيرٍ لم تعثرْ سوى على أرزٍ إسباني يُباع في أكياسٍ بلاستيكيةٍ صغيرةٍ وزن الكيس خمسمائة جرامٍ. رقدتْ حبوبُ الأرزِ البيضاءِ في حقيبتها بينما تحملُها إلى البيت.

تصاعدَ بخارٌ أبيضُ من جلَّةِ الأرزِ المطبوخ. جلستْ أمامه بخشوعٍ كما لو كانت في صلاةٍ. لا يمكنها أن تنكر أنها شعرت بشيءٍ يتحركُ بداخلها في تلك اللحظة. إنكارُ ذلك مستحيلٌ.

3

كل البياض

모

든

힘

في السنة التالية لفقدانها طفلتها الأولى، أجرت والدتنا ولادة أخرى مبكرة قبل انقضاء شهور الحمل التسع. قيل لي إنه تمكّن من البقاء بداخل رحمها لشهور أكثر قليلًا من الفتاة، لكنه سرعان ما مات بعد الولادة مباشرةً من دون أن يفتح عينيه ولو مرة.

لو تخطت تلك الأرواح المرحلة الحرجة بأمان، ربما لم أكن لأولد بعد ذلك بثلاث سنين، ويولد أخي بعد ذلك بأربع سنين. لم تكن لتعيش أمي مع تلك الذكريات المرعبة بداخلها. الذكريات التي تحاول أمي أن تمرر أصابعها بحذر شديد فوق حوافها الحادّة خشية أن تنفجر في أي لحظة.

أرادت الحياة أن تعيش واحدةً منا فقط. لو تمكّنت من العيش بعد تلك الساعات القليلة الأولى، لم أكن أنا موجودةً الآن.

حياتي تعني أنّ حياتك مستحيلة.

فقط في الفراغ بين الظلام والنور، فقط في فجوة مخضّبة بالأزرق، يمكننا أن نتخيل وجوه بعضنا البعض.

غيناك

عندما نَظرتُ بعينيكِ، رأيتُ بشكلٍ مختلف. عندما مشيتُ بجسمكِ، مشيتُ بصورةٍ مختلفة.

أردتُ أن أريكِ أشياءَ نقيةً. الأشياءَ النقيةَ التي كانت ملككِ أنتِ وحدكِ، قبل أن تشوّهها القسوةُ والحزنُ واليأسُ والقذارةُ والألم. أردتُ أن أريكِ الأشياءَ النقيةَ أولًا وقبل كلِ شيءٍ. لكن لم تسرِ الأمورُ كما أردتُ لها أن تسير. حدّقتُ في عينيكِ مرةً تلو الأخرى كما لو كنتُ أبحثُ عن شكلٍ محدّدٍ في مرآةٍ عميقةِ السواد.

لو كنا فقط نعيشُ في المدينة وقتها، سمعتُ أمي تقولُ ذلك كثيرًا أثناءَ طفولتي. لو نقلتها سيارةُ إسعافٍ إلى المستشفى. لو وضعوها في حضانةٍ، تلك الطفلة الضئيلة التي تشبه كعكةَ أرزٍ.

لو لم تتوقفْ عن التنفس، لكنتِ ضمنتِ كل هذه الحياة بدلًا مني.

أنا التي لم تكن لتولد أبدًا لو عشتِ أنتِ، لو كان قد أتيحَ لكِ المضيُ إلى الأمام في ثباتٍ، بعينيكِ وجسدكِ، بينما تعطينَ ظهركِ لتلك المرآةِ السوداءِ.

كَفَنٌ

«ماذا فعلتَ بها، بالطفلة؟»

في الليلة التي سألتُ أبي هذا السؤال، كنت في نهاية المراهقة ولم يكن قد بلغ هو الخمسين بعد. خيَّم عليه الصمتُ لبرهة قبل أن يجيب: «لففتها في كفن أبيض وحملتها إلى أعلى الجبل ودفنتها هناك».

«وحدك؟».

«نعم، وحدي».

صار ثوبُ الطفلةِ كفنًا. وباتَ قماطُها تابوتًا لجسدِها.

بعد أن ذهب أبي إلى النوم، توقفتُ في طريقي إلى حجرتي كي أشربَ كوبَ ماء. حاولت أن أحرِّك كتفيَّ المتيبستين. ضغطت بيدي على عظمة القص، وصارعتُ كي أُدخِلَ الهواءَ إلى صدري.



وثْنَيْ[2]

فكَّرتُ كثيرًا ماذا لو كانت لي أختٌ كبيرة حقًا.

وثْنَيْ أطول مني بشبرٍ. وثْنَيْ ستمنحني ثيابها القديمة: كنزة صوفية مجعّدة قليلًا وحذاء جلديّ في حالة جيدة وإن كانت تعلوه بعض الخدوش.

وثْنَيْ ستلقي المعطف على كتفها في ليلة ممطرة وتهرول إلى الصيدلية حين تكون أمُّنا مريضة لتجلب لها الدواء.

وثْنَيْ ستضع أصبعها فوق فمها وهي توبّخني: بهدوء، عليك أن تسيري بهدوء.

وثْنَيْ ستحلّ لي المسائل في كرّاسة واجب الرياضيات. ستقول: إنها مسألة سهلة للغاية. أنت فقط تبالغين في التفكير. ثم تعبس بوجهها بينما تحاول أن تُسرع في الوصول إلى الحلّ قبلي.

وثْنَيْ ستطلب مني أن أجلس حين تدخلُ شظيةٌ في قدمي. ثم تحضرُ مصباحًا لتُخرج الشظية على ضوئه بحذرٍ شديدٍ باستخدام إبرةٍ عقّمتها بلهب موقد الغاز.

وثْنَيْ ستهرع إليّ إذا تعثرتُ في الظلام. سأقول لها: لا حاجة لقدومك. أنا بخير. ثم نتبادل نظرة مرتبكة مقتضبة قبل أن تقول لي: انهضي، بحق الرب. دعينا نتناول الطعام الآن. تُزيحُ بيدها الباردة على وجهي ثم تنزلق كتفاها لتبتعد بسرعة معلنةً في صمت انتهاء تلك اللحظة الحميمة.

---

(7) الأخت الكبيرة بالنسبة للبنت بالكورية.

مثل سلسلةٍ من الكَلِماتِ المتناثرةِ
فوق ورقةٍ بيضاء

خلْف حذائي الأسود آثارًا فوق ثلج الصباح الباكرِ الممتدِ في طبقةٍ سميكةٍ تكسو الرصيف، فبدت مثل سلسلة من الكلمات المتناثرة فوق ورقة بيضاء. كانت سول التي رأيتها آخر مرة في الصيف مُتجمدة الآن.

حين التفتُ إلى الوراء، رأيت الثلج قد بدأ يزحف تدريجيًا كي يغطي الآثار التي صَنعت للتو.

يقوم بالتبييض.

أردية حداد

قبل أن يتزوج شخصان، يهدي كل منهما ثيابًا لوالدي شريك المستقبل. ثيابٌ من الحرير إذا كان الوالدان لا يزالا حيّين. وأردية حداد من القطن للراحلين ليتم إحراقها.

اتصل أخي بي ليتأكد أنني سأذهب معه. لقد انتظرت حتى تعودي نونا[8]. قال لي.

كانت المرأة التي كان أخي على وشك الزواج منها قد جهّزت تنورةً وسترةً قطنيةً بيضاء. فردتُ الثياب فوق صخرة في مرج من العشب الطويل أسفل المعبد الذي يتردد فيه اسم أمي بعد كل سوترا صباحية. رفعتْ ولاعةَ أخي المتقدة في اتجاه الكُم، فأمسكت النيران في قماش السترة وارتفعت دائرة من دخان أزرق.

بعد أن تتحلّل الثياب في الهواء بتلك الطريقة، سترتديها روحٌ.

هل نؤمن حقًا بذلك؟!

---

(8) الأخت الكبيرة بالنسبة للولد بالكورية.

دخانٌ

أبقينا عيوننا مثبتةً باهتمام على ما يحدث أمامنا. أفواهنا مغلقةً بإحكام. دخانٌ يشبه زوجًا من الأجنحة الرمادية الباهتة يذوب في الهواء. يتلاشى.

راقبتُ النارَ وهي تلتهمُ السترةَ ثم تمتدّ بسرعة إلى التنورة. عندما ابتلع اللهب آخر خيطٍ من الثياب، فكرتُ فيك. إذا أمكنك أن تأتي إلينا الآن، فلتأتِ. ارتدِ تلك الثياب التي حملتها النار إليك، كزوجٍ من الأجنحة. اشربيها مثل دواءٍ أو شايٍ.

يذوب صمتنا متحوِّلًا إلى دخانٍ بدلًا من الكلمات.

صَمْت

عندما تصل الأيام الطويلة إلى نهايتها، يحتاج المرء إلى فترة صَمْت. في نهاية يوم كهذا، أجد نفسي أقف تلقائيا أمام المدفئة وأمد كفيَ المتعبتين في اتجاه النار في صمت، وأباعد بين أصابعي بحثًا عن أقلّ قدرٍ من الدفء.



أسنانٌ سفليةٌ

تشبه طريقة نطق كلمة «وثْي» نطق كلمة أسنان الطفل السفلية. سنتان ضئيلتان نبتتا كورقتي شجر من لثة ابني.

الآن كبِرَ ابني ولم يعد طفلًا. بعد أن سحبت البطانية لأغطي جسد ابني النائم - البالغ من العمر اثني عشر عامًا، أنصتُ إلى صوتِ تنفُّسه المنتظم لبرهة من الزمن قبل أن أعود إلى مكتبي الفارغ.

فِراقٌ

لا تموتي.. بحق الرب، لا تموتي!

فتحتُ شفتيَّ وتمتمتُ بالكلمات التي سمعتِها أنتِ حين فتحتِ عيونك السوداء، أنتِ التي كنتِ جاهلةً باللغة. ضغطتُ بالقلم بأقصى قوة على الورقة البيضاء. أؤمنُ أنه لا يمكن العثور على كلماتٍ أفضلَ للفراقِ:

لا تموتي. عيشي!

كُلّ البياض

بعينيك، سأرى المكان الأكثر عمقًا وسطوعًا داخل زهرة ملفوف بيضاء، حيث تلتفُّ البتلات الصغيرة لتخفي قلبها.

بعينيك سأرى ارتجافة نصف قمرٍ يظهرُ في وضح النهار.

يومًا ما، سترى تلك العيون نهرًا جليديًا، ستنظر إلى كتلةِ الثلجِ الهائلة تلك، وترى فيها شيئًا مقدسًا نقيًا لم تدنسه الحياة.

سترى داخل صمتِ غابةٍ من أشجار البتولا[9] البيضاء. سترى داخل سكونِ نافذةٍ تتسلّل عبرها أشعة شمس الشتاء. سترى داخل حبيباتِ التراب اللامعة، والمتمايلة مع ظلال النور المنعكسة على السقف.

داخل ذلك الأبيض، داخل كلِ تلك الأشياء البيضاء، سأتنفّس آخر نفس زفرته أنت.

---

(9) شجرة البتولا أو التامول: من أقدم الأشجار في التاريخ حيث يعود أصلها لأكثر من 30 مليون سنة. تستخدم أزهارها بخصائص علاجية في علاج الجروح.

حوار مع الكاتبة هان كانغ
عن «الكتاب الأبيض»

(المصدر: الجارديان، ديسمبر 2017)

https://www.theguardian.com/books/2017/dec/17/han - ang - white - book - meet - the - author

- هان كانغ كاتبة كورية جنوبية تعد من أميز كاتبات جيلها. من مواليد 1970. تعمل أستاذة للكتابة الإبداعية. ترعرعت وسط عائلة من الكُتّاب. نشرت مجموعات قصصية وروايات ودواوين شعر، وتحب الغناء أيضًا وقد نشرت على اليوتيوب تسجيلات لها وهي تغني أغاني كورية شعبية.
- هان قاصة فريدة في أسلوبها مرهفة المشاعر، تهتم جدًا بالتفاصيل، وتضع قارئها في قلب التجربة الإنسانية. روايتها النباتية فازت في ترجمتها الإنجليزية بجائزة المان بوكر الدولية. أحدث أعمالها «الكتاب الأبيض» الذي هو بمثابة سيرة ذاتية مؤثرة وفريدة تتأمل من خلالها معنى الفَقد والحزن.

كتابك الجديد يتحدث عن قصة أختك التي ماتت بعد ساعتين فقط من ولادتها. ما الذي دفعك إلى - أو

جعلك تشعرين بأنك قادرة على - الكتابة عنها الآن؟

لم أخطط أبدًا للكتابة عن أختي الكبيرة. لقد ربّاني والدان لم يستطيعا نسيانها أبدًا. أثناء كتابة إحدى رواياتي، وجدتني أكتب تلك العبارة في حوار ما: لا تموتي، رجاء لا تموتي. كانت عبارة مألوفة لي بشكل غريب وظلّت تحوم بداخلي. فجأة اكتشفت أنها كانت تنتمي لذكرى حكتها لي أمي: قالت لي إنها ظلت تكرّر هذه الكلمات لأختي التي ماتت قبل ولادتي.

كتبتِ في الكتاب «أنكِ ولدتِ وكبرتِ في مكان ذلك الموت». كيف أثّر هذا في نشأتك؟

الأمر لا يتعلّق بالفقد فقط. كان الأمر يتعلّق بـ كم كنا أنا وأخي «مهمّين» بالنسبة لوالدينا. قال والدانا لي ولأخي «لقد ولدتما في وقت مهم. لقد انتظرنا قدومكما لمدة طويلة. لكن بكل تأكيد كان هنالك حزن وألم أيضًا. كان الأمر خليطًا من الرثاء والشعور بأهمية الحياة».

تذكرين في الكتاب أنه لو لم يمت أول طفلين أنجبتهما والدتك، لما كنت وأخوك قد أتيتما إلى الحياة. ما شعورك حول ذلك؟

عندما كانت والدتي حاملًا بي، كانت مريضة جدًا، وكانت تتناول أدوية كثيرة. ولأنها كانت ضعيفة جدًا جسمانيًا، فكرت في الإجهاض. لكنها شعرت بي أتحرك في داخلها وقررت أن تنجبني. أعتقد بأن هذا العالم سريع الزوال، ولقد كنت محظوظة كي آتي إليه.

تذكرين في الصفحات الأولى أنكِ تريدين أن تكون

كتابة هذا الكتاب بمثابة تحول جذري، هل كانت كذلك؟

نعم، لقد ساعدني الأسلوب الذي اتبعته في الكتابة. كان مثل طقس صغير أفعله كل يوم. تطهير للذات من نوع ما. شعرت كما لو أنني أقترب أكثر فأكثر يومًا بعد يوم أثناء كتابته، من جزء معيّن في داخلنا. شيء لا يمكن تدميره. شيء لا يمكن تشويهه.

تعانين من الصداع النصفي منذ مراهقتك. كيف أثّر ذلك عليك؟

تذكّرني نوبات الصداع النصفي بأنني إنسانة. حين ينتابني الصداع، أكون مجبرة على التوقف عن العمل، عن قراءاتي، عن روتيني اليومي، لذا يجعلني ذلك متواضعة دائمًا. وهذا ساعدني على أن أدرك أنني لن أخلّد على هذه الأرض وأنني لست منيعة أمام المرض. لو كنت في صحة جيدة ومفعمة بالنشاط دائمًا، ربما ما كنت قد صرت كاتبة.

قلتِ إنكِ عرفتِ أنكِ كاتبة في الرابعة عشرة. كيف عرفتِ؟

كنت أبحث عن أجوبة لأسئلة جوهرية. ثم أدركت وقتها كقارئة، أن كل الكتاب يبحثون عن أجوبة ولا يصلون أبدًا لأجوبة قاطعة، لكنهم لا يزالون يكتبون. لذا سألت نفسي: لماذا لا أفعل ذلك أيضًا.

والدكِ روائي أيضًا. كيف تأثرتِ به؟

كان هنالك العديد من الكتب في البيت أثناء نشأتي.

أعتقد بأن هذا هو الجانب الأهم.

ما هي كتبك المفضّلة كطفلة؟

أحببت الكثير من الكتاب الكوريين، بالإضافة إلى بعض الكتب المترجمة مثل «الأخوان قلب الأسد» لأستريد ليندغرين[10].

ككاتبة بمن تأثرتِ من الكتاب؟

من الكوريين أحب كثيرًا القصص القصيرة لليم شول - وو. من الكتاب غير الكوريين أحب بالطبع دوستويفسكي.

مَنْ من ضمن القامات الأدبية، ميتًا أو حيًا، تودين لقاءه؟

لا أريد لقاء الكتّاب. لقد قابلتهم بالفعل من خلال أعمالهم. إذا قرأت كتبهم وشعرت بشيء ما، فذلك أمر لا يقدّر بثمن. يصب الكتّاب أفضل ما بداخلهم في كتبهم لذا يكفيني أن أقرأ لهم.

روايتك النباتية فازت بالمان بوكر الدولية، ما أثر ذلك على مشوارك الأدبي؟

جعلني ذلك أقابل قرّاء أكثر وساعد على أن يصبح لدي جمهور أكبر. لكن لأكن صادقة، أردت أن أستعيد خصوصيتي بعد شهور قليلة، لأن الاهتمام الزائد ليس أمرًا جيدًا للكاتب.

---

(10) «Astrid Lindgren» كاتبة قصص أطفال سويدية، من أشهر سلاسل قصص الأطفال التي

ألفتها «The Brothers Lionheart»

